١٧٠

المملكة الأردنية الهاشمية
جمعية المحافظة على القرآن الكريم

بناء الإنسان
وإعداد الشخصية المسلمة

إشراق همّة... وفجر أمّة
قراءة جديدة في جزء عمّ

أ. د. سليمان الدقور

بناء الإنسان

وإعداد الشخصية المسلمة

إشراق همّة... وفجر أمّة

قراءة جديدة في جزء عمّ

أ. د. سليمان الدقور

الإهداء

إلى كل أولئك...

الذين يعملون لميلاد جديد...

ويتجهّزون لفجر قادم أكيد...

تقديم

الحمد لله رب العالمين، نستعينه سبحانه ليهدينا سواء السبيل، ونتوجه إليه ليرشدنا إلى فهم أسرار كتابه الكريم، وأصلي وأسلم على حبيبنا وقرة أعيننا، من تنزل عليه القرآن الكريم فبلغنا إياه ترتيلاً كما أمره ربه سبحانه: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ المزمل: ٤.

أذكر جيدًا كيف ابتدأت رحلتي مع القرآن الكريم منذ نعومة أظفاري، ولم يكن يتجاوز عمري حينها السنة السابعة. وهو حال كثيرين ممن يتوجهون للدراسة النظامية. وهناك أخذنا ندرس سورًا من القرآن الكريم، فعرفنا سورة «الصمد»، وسورة «الناس»، وسورة «النبأ»، ومن قبل سورة الفاتحة...

وهناك كذلك عرفنا «جزء عمّ»، ولم أعرف وقتها اسم جزء غيره في القرآن...

كبرنا، وكبرت معنا هذه المعارف...

ويومًا بعد يوم كانت تراودني أسـئلة كثيرة حول عدد سور القرآن الكريم عمومًا وعددها في «جزء عمّ» بخاصة...

وأسئلة أخرى عن حجم هذه السور في هذا الجزء وحجمها فـي أجزاء أخرى... بل كيف تكون سـورة واحدة بحجم يزيد على الأقل مرتين عن حجم جزء واحد...

لعل هذه الأسـئلة تخطر في بال كثير مـن أطفالنا اليوم، ولعلها كذلك تزاحم عقول غيرهم ممن يتأملون ويتفكرون في القرآن الكريم...

لم تكن الإجابـة على مثل هذه الأسـئلة وغيرها حاضرة في ذلك الوقت... حتـى أكون أكثر دقة فإنني لم أبحث عمن يجيبني عنها...

ولكنني بعد تقـدم العمر وزيادة التحصيل العلمي، بدأت أعود للبحث مـن جديد، مفتشًـا في ذكرياتـي القديمة عن سؤالات كانت تحركني نحو النظر والتأمل...

وعادت تلك الأسئلة بشكل جديد!!!

- لماذا كان عدد سور القرآن الكريم (١١٤) سورة؟
- لماذا جاء ثلث سـور القرآن «تقريبًا» في الجزء الأخير، أي (٣٧) سورة؟
- لماذا جاءت كل هذه السور في الجزء الأخير، ولم تكن في الجزء الأول من القرآن، أو أن تكون مبثوثة فيه بثًا؟
- لماذا... ولماذا...؟؟؟؟

وهي أسـئلة للباحث عن الحكمة من وجود هذه الأمور، وإلا فإنّ الله تعالى يفعل ما يريـد، ونحن نعلم أنه ليس هناك شـيء أراده اللـه إلا وهو مقصود، ولا شـيء مقصود إلا وله حِكَم، فواجبنا أن نبحث عن هذه الحِكَم.

إنها أسـئلة كثيرة تدور في عقل كل واحد منا الآن، وغيرها أكثر، قد تجدها مطروقة في هذا الكتاب...

هذا الكتـاب الذي أعده حصيلة نظر في سـؤالات كثيرة كانت تطرقني كلمـا كنت أختم وردي في القـراءة، ولم أكن وقتها تجاوزت مرحلة الدراسة الثانوية...

ثم قدَّر الله تعالى أن أكون مختصًا بالتفسير والدراسات القرآنية، لأجد أنّ هناك العشرات بل المئات من مثل هذه الأسئلة التي نحتاج أن نثيرها أولًا، وأن نبحث فيها ثانيًا...

هذا الكتاب ليس للقراءة فحسب...

هذا الكتاب للنظر فيه نظر الباحث عن ذاتك، لتعرف من أنت؟! ولتعرف ماذا تحتاج لتصنع نفسك؟!

هذا الكتاب لتجيب على نفسك بنفسك؛ كيف أستطيع أن أُكوّن نفسي وفق منهج القرآن الكريم...

هو كتاب قد يكون عميقًا في منهج الربط والاستدلال، فلا تتعجل في بلوغ آخره، فإنك -عزيزي القارئ- ستجد أنه يُعبّر عما في نفسك وذاتك، وأنه يكشف لك حقائق هي حاضرة عندك، لكنك كنت تحتاج من يضعها أمام عينيك...

وسأترك للكتاب أن يشرح لك نفسه، ويوضح لك مقصوده، الذي اختصرناه بهذه الكلمات: «جزء عمّ... بناء همة... وفجر أمة قراءة جديدة»..

والحمد لله رب العالمين.

سأحدثك عزيزي القارئ في هذا الكتاب عن أمور أساسية ثلاثة:

سأحدثك عن سور هذا الجزء في موضوعاتها ومقاصدها وقيمها.

ثم سـأحدثك عن مقومات بناء الإنسـان وإعداده، وعن تكامل قيم سور هذا الجزء في تحقيق هذا البناء والتكوين.

وسـأحدثك أخيرًا عن أهم موضوعات سور هذا الجزء، وكيف أنها تترابط وتجتمع لتحقق للإنسان بناءه الذي يريده له القرآن الكريم.

لماذا جزء عمّ؟!!

ملامح وخصائص

أراد اللهُ تعالى لكتابه الكريم أن يكون كتاب الهداية للبشرية في وجودها وحياتها: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ إبراهيم:١، وقد أمرنا سبحانه أن نقرأ كتابه ونتدارسه ونتدبّره بحثًا عن عناصر هذه الهداية ومجالاتها في حياتنا كلها...

واقتضت حكمته تعالى أن يجعل كتابه في سور بلغت (١١٤) سورة؛ كل سورة لها مقاصدها وغاياتها وقيمها التي تتكامل في تحقيق معادلة الهداية القرآنية[١].

وقد رُتّب هذا الكتاب بإرادة ربانية لا تدخّل للبشر فيها، حيث رُتبت هذه السور بهذا الترتيب الذي يفرض على العقل

---

(١) القرآن ومعادلات صناعة الإنسان، أ. د. سليمان الدقور، نشر جمعية المحافظة على القرآن الكريم، صفحة (١٣ _ ٢٧).

النظـر فيه، والتأمل في دلالاته، وقد كان من نصيب الجزء الأخير فيه هذا العدد من السور القرآنية، التي بلغت ما يقرب من ثلث عدد السور؛ فقد اشتمل على (٣٧) سورة، وإذا كنا ندرك أن لكل سورة شخصيتها ومقصدها الخاص، وقيمتها المحركة؛ فإننا سندرك حينها مقدار هذا التحشيد المقاصدي والقيمي الذي تسعى سور هذا الجزء أن تصنعه وتحققه في سبيل تحقيق رسالة القرآن الكريم.

وإذا كانت الخاتمة في أي كتاب تمثل خلاصة ما تضمنه هذا الكتاب، وتسعى لضغطه وتكثيفه في نفس القارئ؛ فسندرك حينها حجم القيم والمعاني التي تسعى سور هذا الجزء لتحقيقها...

كذلك الأمر إذا نظرنا إلى خصائص هذه السور وميزاتها مما تتصف به من حيث قصرها، وسهولة ألفاظها، ووضوح دلالاتها؛ فكأنما هي بمثابة رسائل سريعة حاسمة تقرر مجموعة من الحقائق التي فُصّلت من قبل وشُرحت مطولاً في ثنايا القرآن الكريم.

إنّ هذه السور هي مما يسهل حفظه، ويكثر تكراره؛ سواء أكان في الصلوات، أم في التعليم وخاصة للصغار...

وفوق هذا وذاك سترى أنّ هذا الجزء ممتد بمقدار فترة نزول القرآن، تلك الفترة الذهبية التي تشكلت آيات الكتاب فيه مُنجّمة مُفرّقة على مدى سنوات بعثة النبي ﷺ، فكانت تلك السور علامات فارقة على الطريق، ولافتات مهمة في مسيرة الإسلام الأولى، فمِن «اقرأ» في أول البعثة إلى «النصر» في آخر الرحلة عصرٌ ممتد تُنيره سور جزء عم كما هو القرآن كله...

وأن تأتي في هذا الجزء أول سورة أُنزلت للناس؛ سورة «اقرأ»، حيث نزل منها أول خمس آيات، وأن تأتي فيه آخر سورة ختم بها النزول، وهي سورة «النصر»، فتلك علامة أخرى على خصائص هذا الجزء وما احتواه من إرشادات وعلامات على طريق صناعة الإنسان وإرشاده في هذا الوجود، غير ناسين اشتماله على سورة تعدل ثلث القرآن(١)، وهي سورة «الإخلاص».

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٦٢٨).

كما أنّ ما يلفت الانتباه أنّ ســـور هذا الجزء جميعها مكية باستثناء ســـورتين أو ثلاثة بحسب خلاف العلماء في ذلك[1]، وهذا يؤكد في نفس قارئها جملة الحقائق الكبرى التي تقصدها من خلال بناء عقيدته وإيمانه، وضبط سلوكه وتصوراته...

ونظـــرة أخـــرى أكثر عمقًا في ســـور هذا الجـــزء تُطلعك على تنوع هذه الســـور وتلون معانيها، وعلى اتساع مقاصدها وشمولها، وعلى ترابط موضوعاتها وتآلف نظمها، وهو الدافع الأبرز لهذا الكتاب كما سيتبين لك مما سيأتي إن شاء الله...

ويمكـــن للقارئ الكريـــم أن يجد عشـــرات الكتب التي تحدثت عن هذا الجزء وتفســـيره، ســـواء أكان ذلك في كتب التفســـير عمومًا، أم في كتب مســـتقلة اختصت بالحديث عن سور هذا الجزء.

ولعل أبـــرز ما يمكن أن تطالعه ويفيدك في بيان خصائص هذا الجزء وموضوعاته ما كتبه المفســـر الأديب سيد قطب في

---

(١) اختلف العلماء في أكثر من ســـورة، والذي نرجحه أنّ كل ســـوره مكية باســـتثناء الكوثر والنصر فهما مدنيتان.

كتابه القيم «في ظلال القرآن الكريم»، كما أنك ستجد دراسات موضوعية ومقاصدية لسور هذا الجزء مما قد تجده عند البقاعي في «نظم الدرر» وما لخّصه في كتابه «مصاعد النظر في مقاصد السور»، أو ما يمكن أن تجده في موسوعة التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، التي صدرت في الشارقة لمجموعة من العلماء الأفاضل.

وقد رغبت بالمزاحمة عند أقدام علمائنا، وقد تكون مزاحمة خاسرة، لكنني أرجو أن تكون رابحة عند الله، بسلامة المقصد، وصدق الغاية والهدف في خدمة كتاب الله تعالى.

الإنسان... وطريق الهداية

ملامح قرآنية

أنزل الله القرآن هداية للناس...

فماذا تعني الهداية؟!!!

أيمكن أن تكون الأساس لبناء تصوراتنا وأفهامنا ومعارفنا حول هذا الوجود؟

وهــــل يمكن أن تكون إرشــــادًا لنــــا لكيفيــــة تعاملاتنا مع موجودات هذا العالم؟

أو يمكن أن تكون طريقنا لتنظيم علاقاتنا فيما بيننا؟

أو قد تكون منهجًا لنا في تنظيم ســــلوكنا وأعمالنا وطريقة سعينا؟

ربما تكون كلَّ هذا وغيرَه...

الأهم بالنسبة لنا في أمر الهداية أنها تُوحي بمخالفة منهج

الضلال والضياع...

فالهدى هو سبيل الصحة والخير والجمال والسعادة...

وأن تهتدي يعني أن تبتعد عن الضياع وعن الهلاك...

والهداية تعني أن تعرف الحقيقة وتعانقها وتسعد بها...

والمهتدي هو مَن حقّق هذه المعاني في حياته...

وإذا اهتديت فالوجود سيغدو عنوان السكينة والطمأنينة...

والهداية هي طريق وعي الضمير، واستنهاض الفطرة، وتحقيق سعادة الحياة، وهي المعين على ثبات الخطوة في الطريق، وغرس النظرة الإيجابية للعالم والحياة والناس...

كل هذا بعض الهداية في معناها ومجالاتها وآثارها...

والقرآن الكريم في هذه الحياة هو دستور هذه الهداية وموجهها، وهو المنبع الأول لها:

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ الإسراء: ٩،

فالإنسانية كلها في أمس الحاجة لهذه الهداية التي تقوّم بها

وجودها وسيرها...

إنّ أحوج ما نحتاجه اليوم أن نبحث في القرآن الكريم عن ملامح هذه الهداية، وأن نتلمس ملامح الصراط المستقيم الذي ندعو الله أن يهدينا إليه عشرات المرات يوميًا...

وفي جزء عـمّ -آخر أجزاء هـذا الكتاب- تجـد أنّ هذه الأهداف تبدو جلية واضحة وضوح الشـمس في رابعة النهار، فكل سورة من سـوره تُظهر عنصرًا من عناصر هداية البشرية، ومُوجّهًا أساسيًا من موجهاتها...

الهداية الشاملة كما قلنا الهداية التي تشمل توجيه الإنسان لبناء نفسـه، ومجتمعه، وإعمـار كونه. الهداية التي تشـمل أنظمته، وقوانينه، وتشـريعاته، وأنماط سلوكه، وحياته، ولعل أبرز ما يحقق لنـا الوعي على ملامح الهدايـة في حياتنا مما يغرسـه القرآن الكريم ويرشـدنا إليه، وهي أمور برزت بشكل واضح في سور الجزء الثلاثين، فكان من أهمها:

١. **أنه يُعرّفنا بالله سبحانه وتعالى**، فقد حفلت سور هذا الجزء

بصفات الله سبحانه، وما من سورة من سوره إلا وفيها إشارة واضحة لجانب من جوانب العلاقة مع الله سبحانه، بل إنّ في هذا الجزء أعظم سورة تحدثت عن صفاته سبحانه؛ ألا وهي سورة الإخلاص، هذا بالإضافة إلى تكرار صفات الربوبية والرحمة في كثير من سور الجزء، وخذ مثلاً سور البروج فستجد فيها اثنتي عشرة صفة لله عز وجل، وانظر كذلك سورة الأعلى كمثال آخر تُعرّفنا بالله تعالى، وتفضله على خلقه، وهكذا باقي سور الجزء.

٢. **وهو كذلك يُعرّفنا بالإنسان وخصائصه**، فمِن خصائص سور هذا الجزء ومميزاته أنّ كل سورة منها تتناول جانبًا من جوانب النفس الإنسانية؛ تُعرّف به، وتصفه بدقة، وتُرشد لكيفية استلهامه، وتُبين منهجية إدراكه والوعي عليه، وسوف نفصل لك في شأن هذه المسألة فيما هو قادم، ذلك أنها تتصل بصناعة الإنسان.

٣. **وتُقدّم لنا سور الجزء تعريفًا دقيقًا مفصلاً بهذا الكون وما فيه من موجودات وحقائق**؛ فتُحدثنا عمّا فيه، من سماوات

وأرض، ودلائل زمكانه من شمس وقمر وليل ونهار وجبال ونبات وحيوان، وارجع إن شـئت أن ترى هذا إلى سـور التكوير والانشـقاق والانفطار والطارق والبروج والغاشية والشمس وغيرها.

٤. **وسور الجزء تُؤسّس لتوضيح علاقة المخلوق بالخالق، وبيان منهجها**، ويتجلى في ذلك النظـام الرباني القرآني للعلاقات البشـرية والاجتماعية والأخلاقيـة، والمتمثل بتعاليم الدين وأحكامه التي تضمنتها سور القرآن الكريم، وجزء عمّ لم يخرج عن هذا الخط؛ ففيه سور تحدثت عن جوانب سياسية كالبروج والفيل مثلاً، وسور تحدثت عن جوانـب اقتصادية كالمطففين وقريـش، وأخرى تناولت جوانـب اجتماعية متعددة مثل عبـس والهمزة والماعون وغيرها.

٥. **وتقـف بنا سـور الجزء لكشـف إجابات أسـئلة الوجود الكبرى**، مَن أوجدنا؟ ولماذا؟ وكيف؟ وما المطلوب منّا؟ وما مصيرنا؟ وفي سـور جزء عمّ إجابـات واضحة لهذه

الأسـئلة، وسـوره بمثابة تقارير منضبطة لحقائق الوجود الكبـرى، وإن تنظر فيما تضمنته سـور النبـأ والنازعات والانفطار والانشقاق والتكوير من معانٍ ترى مصداق هذا.

٦. **ومما تعرضه لنا سـور الجزء التجربة البشـرية للإنسان في الأرض**، والتـي تتمثل بقصص الأنبياء والأمم السـابقة، وقصص التجارب البشرية التي تضمنتها سور القرآن كأمثلة ونماذج للإنسان وتداعيات حياته على هذه الأرض، وفي جزء عمّ ستمر بك قصص موسـى، وفرعون، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل، وأطراف من سيرة المصطفى ﷺ، وأخبار قومه كقريش وأبي لهب.

٧. **كمـا أنّ الجزء يركز بشـكل تفصيلي على بيـان مآل هذا الكون ومصيره**، ومصير هذا الإنسان وعاقبته، إنّ الحديث عن عالـم الغيب، المتضمن للموت وما بعده من حشـر وحسـاب وجنة ونـار، وذكر اليوم الآخر ومـا فيه، وهذه الموضوعـات من أكثر ما طرقته سـور جـزء عم؛ فنظرة سـريعة مستعرضة لأسماء بعض سوره تريك حجم المادة

المتضمنــة لهذا العنصر في هذا الجــزء، وخُذ مثال ذلك ســور النازعات والغاشــية والزلزلة والقارعة، وأكد ذلك لديك بما تضمنته بعض سور الجزء من إشارات وأوصاف ليوم القيامة كيوم الحســاب، والطامّة الكبرى، والصاخّة، وأضف إليه تكــرر ذكر المقابر، وأصناف العذاب، وألوان النعيم في كثير من السور.

وهذه القضايا الســبع الرئيســة لا تُقدّمها آيــات الكتاب مفصولــة كل منها على حدة؛ وإنما تُقدّمهــا متمازجة مترابطة منتظمة في ثنايا كلماتها الربانية، لتُشكّل نسيجًا محكمًا متكاملاً تستجمعه الآيات في سور القرآن، وهي تحقق ما وصف الله به كتابــه في قولــه: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ القيامة: ١٧ - ١٨؛ فقرآنية القرآن فيما رتب عليه من سور وآيات وموضوعات بهذا النســق العجيب؛ كل ذلك يُحقّق أثر القرآن وفاعليته في النفس والوجود...

صناعة الإنسان....
تلك الصناعة الثقيلة!!!

إنها صناعة الإنسان...

تلك الصناعة الثقيلة التي نحتاجها أن تكون على عين الله: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ طه: ٣٩...

تلك الصناعة التي تقوم وفق منهج الله لتحقيق منهج الله...

تلك الصناعة التي تنتهي بك إلى حيث يريد الله: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ طه: ٤١.

هناك حيث التوجه الصادق لله، والاستقامة الصادقة على أمر الله...

صناعة الإنسان هي أعظم مقاصد هذا الكتاب، وهي غاية عظمى من غايات وحيه، وهي سرّ من أسرار أنساقه التي أوحى الله بجمعه عليها وترتيبه في سور وآيات وموضوعات؛ فكل

ذلك لأجل غاية عظمى، ومهمة كبرى، هي صناعة الإنسان، ولا شك عندنا أنّ كتاب الله سبحانه قد احتوى مبادئ هذه الصناعة ومنهجها الرباني، والتي تتحقق وفق هذا المنهج القرآني، وهذا الترتيب البديع.

وقد ظهر لنا أنّ سور هذا الجزء قد جاءت تكتنز قيم سور القرآن كلها، وأنها تبعث لنا برسائل محددة، واضحة، منضبطة، تُعيد من خلالها تأسيس المفاهيم، والمواقف، والحقائق، وتأكيدها...

ولعل هذا الذي ظهر لنا يدفعنا أن نعتقد بأنّ محددات صناعة الإنسان وإعداده إنما تتجلى بشكل واضح هنا...

هنا في سور هذا الجزء التي ذكرنا لك خصائصها وميزاتها...

ويتكامل جزء عمّ بسوره وآياته لبناء قيم الإنسان وصناعته ليكون الإنسان الأعلى، فكل سورة منه تُسهم في رسم خارطة دقيقة لقيمة عظمى يحتاجها الإنسان في مسيرة حياته، وتترابط

هذه السور وتلك القيم لتكون في خلاصاتها صورة واضحة لصناعة الإنسان.

ولعلنا نوضح ذلك أكثر؛ فنذكر أهم عناصر هذه الصناعة الثقيلة كما يبينها القرآن الكريم، وكما يُعيد جزء عمّ تشكيلها وتركيزها...

عناصر صناعة الإنسان

الإنسان هذا الكائن العجيب...

هو كائن لأنه مكوّن... وهو مكوّن ليحقق التمكين...

الإنسان هذا الكائن الذي وهبه الله أعظم نعمة في الوجود... هي نعمة العقل والتكليف...

وإذا كان الإنسان كذلك فهو أحوج ما يكون لمعرفة ما يحقق به وجوده، وتكليفه، ودوره الذي أنيط به في حمل الأمانة، كيلا يكون ظلومًا جهولاً؛ ولعل هذا هو ما نعنيه بتلك الصناعة...

وإنّ أهم العناصر التي تتحقق بها للإنسان صناعة نفسه ووجوده وأداء دوره، تلك العناصر التي تتصل بالأمور الآتية:

- ببناء تصوراته وأفكاره وقناعاته.
- وإعداد إمكاناته وقدراته.
- وبعث رغباته وتكوين إراداته.

- وتحديد أهدافه ومقاصده.
- وضبط فاعليته وأدائه وقيامه بأعماله (ونعبر عنه بمشـــروع العمل).
- وبيئته التي يسكنها، وآثار عمله وثماره في الدنيا والآخرة.

ســنجد أنّ ســور هذا الجزء تحدثنــا بالتفصيل عن هذه العناصر... تمامًا كما حدثتنا عنه جميع سور القرآن الكريم...

كيف لا؟! وهي تمثل ملامح القرآن المقاصدية...

مقاصد سور الجزء الثلاثين وقيمها

لعلك عزيزي القارئ وقد سبق لك أن تعرفت إلى بعض خصائص جزء عمّ، وبعض ما حدثناك عنه مما يتصل بتكوين هذا الإنسان وإعداده؛ أقول: لعلك ترى من المناسب أن نقف معك هنا -قدر الاستطاعة- مع كل سورة من سور هذا الجزء، محاولين بيان مقاصدها، وموضوعاتها، ودلالاتها العامة، لنحدد في ضوء ذلك القيمة الرئيسة الجامعة لمقصد كل سورة ودلالاتها، بحيث تجمع هذه القيمة بين موضوع السورة، وما توجهنا إليه من موقف أو سلوك في حياتنا؛ حيث إنني أقصد بقيمة السورة تلك العلاقة الجامعة بين دلالات السورة الموضوعية من مقاصد وغايات وموضوعات من جهة، وارتباط ذلك كله بسلوك الإنسان ومواقفه من جهة أخرى.

إننا دائمًا ما نؤكد أنّ النظر في تحديد موضوعات السور ومقاصدها إنما هو أمر اجتهادي يخضع لجملة من الضوابط في تحديده، غالبًا ما يرتبط باسم السورة الذي يشكل مفتاحًا

لفهمهـــا، وهو كذلك يرتبط بأهم موضوعاتها، وفواصل آياتها، ومفرداتهـــا، وأنســـاقها التعبيرية والموضوعيـــة، وقصصها إن وردت، وافتتاحهـــا، وخاتمتها، وغير ذلك ممـــا قرره العلماء الأجلاء.

ومـــن المعلوم أنّ هذا قد يـــؤدي إلى تفاوت وجهات نظر العلماء في ضبط مقصد السورة، وصياغة العبارات الدالة عليه، لكننا نؤمن أنه مهما تعددت اتجاهاتهم، وتنوعت عباراتهم، إلا أنهم يتقاربون اتفاقًا في المضمون والدلالات، لذلك لا ضير أن تتحمل -عزيزي القارئ- اجتهادي في محاولة صياغة العبارات التـــي أرى أنها تقرب تلك المقاصد وتوضحها وفق بناء قيمي، فهي محاولة تقريبية أكثر من أن تكون جازمة، وليســـعني فيها نظرك وتأملك.

سُورَةُ النَّبَاء

توجيه الإنسان لضبط توجهه وتمكين حقيقة الإيمان وفاعليته في حياته من خلال ربطه بحقيقة الإيمان بالبعث

يا ترى ما القيمة الرئيسة التي تحققها سورة النبأ في نفس قارئها؟

وما هي القضايا الرئيسة التي استجمعتها هذه السورة لتربطنا بها؟

تعال بنا ننظر عن أي شي تحدثنا هذه السورة الكريمة.

بدأت السورة الحديث عن اختلاف الناس في اليوم الآخر، يقول تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾. وقد تكرر حديث القرآن عن اليوم الآخر، وجاء في مواطن كثيرة مقترناً بالإيمان بالله، لأن قيمة الإيمان بالله لا يمكن أن تثمر ولا أن تزهر إلا من خلال قيمة الإيمان بالآخرة، ذلك أنّ الإيمان بيوم الحساب يضبط عمل الإنسان

وفق المسار الذي يريده الله عز وجل. وسوف تلحظ بوضوح أنّ سورة النبأ تركز على معالجة موقف الإنسان من البعث لضبط توجه هذا الإنسان وفق المسار الصحيح.

والسورة لها منهجها الخاص في هذا الضبط، فهي تحقق ذلك من جانبين:

الأول

حسم الاختلاف في قضية مركزية متصلة بوجود الإنسان وهي البعث

حيث بدأت السورة بذكر الاختلاف في قضية البعث، وجاءت بأدلة واضحة وبينة تحسم هذا الخلاف، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾. ثم أخذت تُفصّل في بعض أحداث اليوم الآخر.

الثاني

تكثيف الوعي بأنّ الإيمان بالبعث يصنع التقوى عند الإنسان وإنكاره يصنع الطغيان

إنّ موقف الإنسان من البعث يترتب عليه أثر في الدنيا، وجزاء خالد في الآخرة، فتكلمت السورة عن الجزاء الأخروي للمؤمنين بالبعث وجزاء المنكرين له، كما أنها بيّنت الأثر الدنيوي لكل من الإيمان والكفر، أما أثر الإيمان بالبعث فهو تحقيق التقوى، يقول تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١﴾. وأما أثر إنكار البعث فهو انحراف الإنسان ووقوع الطغيان، يقول تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ۝٢٢﴾.

والطغيان تجاوز الحد، وهو متصل بسلوك الإنسان وأخلاقه المبنية على طغيان تصوره، أما التقوى فهي تحقيق المشروع الإيماني في الواقع من خلال إنتاج سلوك منضبط بقيم الإيمان، لهذا فقد كان الشغل الشاغل للسورة إثبات عقيدة البعث، لترسيخ الأثر العملي لهذه العقيدة في تصور الإنسان وسلوكه.

ويمكننا في ضـــوء هذا التفصيل أن ننظر إلى أنّ الســـورة الكريمة تبني لنا قيمة مهمة من وراء هذه المقاصد والدلالات، وهي قيمـــة ضبط توجهنا؛ فـــإنّ الإيمان بالبعـــث ليس قضية نظرية في حياة الإنســـان، إنما هو أمر فاعل في ضبط تصوراته وســـلوكاته، فالمؤمن بالله هو مؤمن بالبعث، والمؤمن بالبعث يؤمن أنه سيُحاسّـــب، والمؤمن بأنه مُحاسَـــب سيحرص على تحقيق التقوى في حياته والبعد عن الطغيان. وتلكم هي إحدى أكبر قضايا القرآن الأساسية.

سورة النازعات

خصائص قوة عمل الإنسان التي ينزع بها مكانته الصالحة في الدنيا ويحقق بها دوره الإيجابي بدل طغيان النفس وسلبيتها

يكفيك هنا أن تحس بهذه القوة التي تُثيرها كلمة النازعات في نفسك...

ولو لم يكن في عقلك من قبل ما يجعلك تصرف هذه القوة لتجعلها متعلقة بفعل الملائكة، لجعلتها صورة قوية فاعلة في نفسك... وفي الحقيقة ليس هناك ما يمنعك من ذلك.

بدأت السورة الحديث عن أوصاف محددة منضبطة تنطبق على موصوفات، يقول تعالى: ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّـٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّـٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّـٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥﴾.

ولقــد وجدنا العلمــاء جميعًا في بحث دقيــق عن تلكم الموصوفــات التي يمكن أن تنطبق عليهــا هذهلاالأوصاف، ولعلك معني قبل أن تحدد تلك الموصوفات، أن تتعرف على ذات الأوصاف، لترى ما فيها من دلالات وتأثير... ولا أخالك تتردد كثيرًا لتستشعر تلك المعاني الجامعة لهذه الأوصاف.

فالبداية إغــراق في تجلية التوجه والقصد والمنطلق الذي تنزع له نفوسنا...

ثم تلكم الحركة النشــطة التي تتبعها هذه الســعة وذلك الانتشــار والتنوع والتعدد في الحركــة المنضبطة الدقيقة، ثم لتستشعر بعدها الحاجة للتنافس والتسابق، ولكن على أساس من التخطيط والتدبير...

تلك هي دلالة تلك الأوصاف فيما يمكن أن تستشــعرها نفوسنا...

وســيبقى الســياق مجالاً رحبًا لتفاوت الاجتهادات بين العلماء في تحديد المقصود بكل هذه الأوصاف.

علـى كل حال سـأترك لك عزيـزي القـارئ أن تحدد المقصود بهذه الأوصاف لتكون مقتنعًا باختيارك، ولكن بعد أن نعيش سويًا مع ما تحدثت عنه السورة الكريمة من موضوعات محددة تجد أنها تدور وترتبط بقوله تعالى في السـورة نفسها: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ ٣٥﴾.

إذًا الأمر كله يرتكز هنا...

هنا حيث سعي الإنسان وعمله، وحيث إنجازه وتمامه في الدنيا، وحيث الجزاء عليه في الآخرة...

وهناك يتذكر الإنسان ما سعى...

ولعل السـورة الكريمة تبني هذا السـعي عند الإنسـان وتضبطه من خلال أكثر من جانب:

أولاً

فهي تضبط سعيه ببناء الدافعية عنده
من خلال استحضار الإيمان بالبعث

بيّنت السورة موقف الكافرين من البعث والذي يتمثل في

أمرين: الأول: الإنكار والتـردد في قضية البعث، وقد تكلمت عنه السورة في البدايات، يقول تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾. الثاني: وجاء في السؤال عن موعد البعث، وقد ختمت به السورة، يقول تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾. إنّ هذا الإنكار تارة، والتسـاؤل العبثي أحياناً عن موعد البعث تارة أخرى، يعكسـان عدم الجدية عند صاحبهما مما يؤدي إلى خلل في سلوكه وعمله.

وقد حرصت السـورة أن تُذكّر الإنسـان بقدرة الله تعالى وعظمته، فجاءت تُحدّثه عن الآيـات الدالة على ذلك، لتبث الإيمان فـي النفوس، ولتقوم بناء هذه النفـس ودافعياتها منذ البدايـة، يقول تعالـى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾.

ثانياً

ثم هي تضبط سعي الإنسان بتحذيره من أثر رفض الإيمان بالبعث على سلوكه ونتاج عمله

وهُنا تذكر لنا السورة نموذجًا واقعيًا من تاريخ الإنسانية يمثل سلوكاً سلبياً وهو الطغيان، فتذكر لنا فرعون الطاغية المكذب المنكر للبعث والإيمان بالله تعالى، وكيف كان أثر ذلك على سلوكه وبيان عاقبته وهي الهلاك. وهنا فالسورة تُبين منهج الطغيان والسلوك الموصل إليه، وهو التكذيب والعصيان والصدّ عن الحق، والعداء لأصحابه، ثم التعالي والاستكبار والعناد، كما أنّ السورة بيّنت لنا منهج مقاومة الطغيان؛ وهو الدعوة والبلاغ بالحق، والتزكية للنفس، والهداية للحق، وخشية الله تعالى. يقول تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ
طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ
﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾
فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ
وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾.

إذًا طريق الطغيان واضـــح... التكذيب، العصيان، الصد عن الحق، محاربة أصحابه، الاســتكبار والعناد والتعالي، كل ذلك بسبب إيثار الحياة الدنيا...

وطريق مقاومته واضحـــة الملامح... الدعــوة والتبليغ، وتوضيح طريق الحق وتمهيده...

ثالثاً

فهي تضبط سعيه بتحديد مواصفات العمل الذي يتوجب عليه القيام به

وفي ضوء ما تقدم يمكننا أن نُعيد تحديد المراد بالأوصاف التي ذكرتها السورة في مقدمتها، ولعله واضح أنّ السياق يدلنا على اتصال هذه الأوصاف بســعي الإنسان، هذا السعي الذي رأينا أنه ينقســم بين نوعين: الهدايــة أو الطغيان، ويدلنا على أنها متصلة بتذكر الإنســان لسعيه... تلك القيمة المحورية في السورة، التي أشرنا إليها سابقًا.

لعل هذا يؤكد لنا أنّ هذه الأوصاف متصلة بموصوف عمل الإنسان وسـعيه، فهي تحدد خصائصه وموازينه، يقول تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥﴾.

وقد تدل النازعـات على قوة العمل، والناشـطات على الهمة والمبادرة فيه، والسابحات على السعة والانتشار والتنوع، والسابقات على المسابقة والتنافس، والمدبّرات على التخطيط والتدبير في العمل.

وقد يكون من دلالة تسمية السورة بالنازعات التأكيد على أنّ النـزع فيه معنى القـوة والتحريك والإزالـة وهو ما يعطي النتيجة لمن يعمل، مهما كان نوع عمله، فكما أنّ عمل فرعون كان طغياناً فإنّ عمل موسى كان دعوة للهداية، فنزع اللهُ ملك فرعون وثبت ملك موسـى... وتلك رسـالة أوصلتها السورة لأهل مكة من المشركين، وهي رسالة مستمرة إلى نهاية الزمان.

ومن الجدير بالذكر أنّ ما ذُكر من قصة موسـى مع فرعون

في هذه الســورة يُعد من أول ما نزل في القصة، وقد جاءت هنا مختصرة، ولكنها من حيــث الترتيب كانت من آخر ما ذُكر في شــأن هذه القصة تفصيلاً إذا استثنينا الإشارة إلى رسالة موسى في سورة الأعلى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾، والقيمــة التي تقدمهــا القصة هنا في ســورة النازعات بشــكل مجمل هي: أنّ الطغيان سلوك، كما أشــارت إليه قبلها سورة النبأ، يقول تعالى: ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ النبـأ: ٢٢، وأنّ أكبــر نموذج للطغيان هو فرعــون ومنهجه، وإنّ التذكر والهداية والتزكية هي ما يضبط ســلوك الإنسان ويحقق له الخشية.

سورة عبس

حُسن الدعوة إلى الله والنجاح فيها في التعامل مع الآخرين
هو مفتاح النجاح في كل الأعمال

حديث السورة متصل بالدعوة إلى الله، يقول تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾. وهو مرتبط بموقف النبي ﷺ تجاه من جاءه رجاء تحقيق التزكية، جاءه فرد واحد لكنّ النبي ﷺ أرجأه طمعًا في إيمان أولئك الأسياد من قريش ليكسبهم في دعوته وإلى دينه، فجاءت هذه الآيات لتصحيح هذا الموقف، ولتُرشدنا في تحقيق المعادلة الصحيحة في الدعوة إلى الله تعالى.

إنّ أعظم الأعمال وأحبها تلك التي تُرشد الإنسان إلى ضبط سلوكه وفق مراد الله تعالى، وإنّ أعظم هذه الأعمال هو الدعوة إلى الله بمفهومها الشامل الذي يُقوّم سلوك الإنسان ويُحقق له السعي الإيماني الفاعل...

والسورة الكريمة تُحقق هذا المعنى من جوانب:

أولاً

تحديد موقف الناس من الدعوة إلى الله
وبيان أثر ذلك في واقعهم

بيّنت مقدمة السورة أنّ موقف الناس من الدعوة يسير في مسارين:

- الأول: مَن أعرض لأنه استغنى.
- الثاني: مَن أقبل يسعى رغبة في تحقيق التزكية والتذكر والخشية.

والاستغناء هنا يذكرنا بموقف فرعون الذي ذُكر في سورة النازعات قبلها، فإنّ الاستغناء هو سبب الطغيان، وجاء التأكيد

على العلاقة بين الاســتغناء والطغيان في أول سورة نزلت من القرآن الكريم وهي ســورة العلق، وقد جــاء فيها قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧﴾.

ثم ربطت الآيات في ســورة عبس قيمــة الدعوة إلى الله بقيمة مصدرها الذي تنطلق منه وتســتند إليه وهو القرآن، يقول تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦﴾. وهذا يُجلي قيمة من استجاب للدعوة إلى الله، فشأنه التكريم والرفعة والعلو، كما هو شأن القرآن الذي يتبعه، وأنّ مَن استغنى فشأنه الذلة والمهانة.

ثانياً

معالجة موقف المستغني عن وحي الله ودعوته

تكلمت السورة عن خلق الإنسان وخلق الكون في سياق معالجة الإستغناء الذي كان سببًا في الإعراض عن الدعوة كما جاء في مقدمة السورة، فعطاء الله للإنسان وإنعامه عليه ينبغي

أن يدله على الله لا على الاستغناء عنه، ومن استدل على الله آمن به واستجاب له وشكر أنعمه، يقول تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٢ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣﴾.

ثالثاً

بيان أنّ الاستجابة أو الإعراض مسؤولية ذاتية يترتب عليها حساب وجزاء

ختمت السورة بالحديث عن الآخرة وتحديدًا عن المسؤولية الذاتية التي يتحملها كل إنسان، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾، وفي ذلك تأكيد على مسؤولية الإنسان الذاتية في الفهم والإيمان والاستجابة،

والحذر من الأثر السـلبي الذي يصنعه أحياناً مجتمع الرفض للحـق، وبيئة الرفض لدعوة الله تعالى، فإنّ الإنسـان لا يُغني عنه إلا عمله.

ثم ذكرت السـورة جزاء مَن اسـتجاب وجزاء مَن أعرض، وجاء التركيز على الجزاء متناسباً مع عمل الإنسان وسعيه، بل ومتصـلاً بأثر هذا العمل وانعكاس تأثيره على وجه الإنسـان، وهذا متناسـب تمامًا مـع أول السـورة في إشـارتها لحركة الوجـه وملامحه، يقول تعالـى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ۝٤٢﴾.

إنّ الدعـوة إلى الله مفتـاح كل الأعمال لأنها تدل الناس على طبيعة العمـل المطالبين به، وتعالج الإشـكاليات التي تمنعهم عن العمـل، ثم تحذرهم من عاقبة موقفهم السـلبي وتبشرهم بعاقبة موقفهم الإيجابي.

سُورَةُ التَّكوِيرِ

دعوة إلى الاستقامة في السلوك والعمل لأن هذا هو حقيقة ما سيبقى مع الإنسان يوم القيامة بعد أن تنقطع كل العلاقات، وسيواجه حينها ما أحضره

تُبين سورة التكوير قيمة أساسية في حياة الإنسان يجب أن يسعى لتحقيقها، وهي متصلة بتحقيق الإيمان والاستجابة لأمر الله تعالى لتحصيل الاستقامة في السلوك والعمل.

لذلك فإنّ السورة تدور في فلك آيتين رئيستين تستجمعان حركة موضوع السـورة، وهما تؤكدان وضوح العمل واستقامة سلوك الإنسان فيه، الآية الأولى قوله تعالى: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٌ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤﴾، والآية الثانية في قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾.

فالآية الأولى تُشـير إلى ما يكون يوم القيامة، حيث تعلم كل نفس ما أحضرت من عمل، سواء كان خيرًا أم سوءًا، والآية

الثانيــة تؤكد لنا وضوح المنهج لمن أراد الاســتقامة في حياته إيمانًا وعملاً.

وكعادة كثير من الســور قد تحدثت السورة هنا عن بعض أحداث اليوم الآخر لتوقظ القلوب والهمم، ولتشــحذ العزائم والإرادات، ولعل في تسميتها بالتكوير وما في هذه الكلمة من إشارة إلى إعادة آخر الشيء على أوله، ما يؤكد حقيقة ما ترمي إليه السورة من بيان أنّ الكون يُعاد آخره على أوله، وأنّ الإنسان يُعاد إلى تراب ثم يُبعَث، وكذلك فإنّ عمل الإنسان سوف يُعاد ويحضر أمامه ليراه ويُحاسَب عليه يوم القيامة.

والناظر في السورة يرى كأنما هي قسمان:

لقد بدأت الســورة في القسم الأول بالحديث عن أحداث الآخرة لتؤكد تلك القيمة الأساسية المتصلة بعمل الإنسان وهي قوله تعالــى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾.

ثم كان القسم الثاني من السورة متصلاً بالحديث عن الآيات الكونية الدالة على قدرة الله وجلاله، وكان موضوعها الدفاع عن القرآن الكريم، وظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾. ولا شك أنّ في ذلك تأكيدًا على أنّ وضوح أيّ عمل للإنسان إنما ينبثق من وضوح مصدره، وصدقه.

وتختتم السورة بالدعوة إلى الاستقامة لأنها هي ثمرة هذا الوضوح، ولأنها طريق تحصيل الجزاء الأوفى يوم الدين، تلكم هي الاستقامة في التصور والعمل والسلوك، يقول تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾.

سورة الانفطار

شمول عمل الإنسان وتنوعه ليكون عنوان التصديق بالدين أو التكذيب به

واضح أنّ السورة سُـميت بأول حدث وصفت به السماء هنا في هذه السورة... إذا السماء انفطرت.

بدأت السـورة بالحديث عن بعض أحداث الآخرة، يقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥﴾. والانفطـار الذي هو اسـمها مأخوذ من انفطر بمعنى انشـق فتوزع فتبعثر، والناظر في مشـاهد الآخرة التي ذكرتها السورة يجد فيها معنى التبعثر والانشقاق والتوزع، وهذا مشهد شامل متكامل لأحوال هذه الموجودات.

ونجد هذا الجانب الأول في السورة قد ختم بقوله تعالى:

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥﴾، فهـو واضح التأكيد على مسـألة العمل، وأنّ الإنسان سـوف يعلم يوم القيامة كل شـي في الدنيا مما عمل؛ قدّمته نفسـه وأظهرتـه، أو أخّرته وأخفته، وفي ذلك إشـارة إلى شـمول كل ما لم يقدّمه، سواء أكان المقصود كل ما قدّم من خير وكل ما أخّر من شـر، أم كل ما قدّم من شر وكل ما أخّر من خير، ولعل موضوع السورة كله يدور حول هذه المحورية فيها.

فالسورة كما نرى تركز على قيمة النظر إلى العمل بعمومه، وذلك من خلال جانبين أساسيين:

- الأول: الحديـث عن دافع العمل عند الإنسـان، وهذا ما يحدد مسار عمله مهما تنوع أو كثر.
- الثاني: الحديث عن ارتباط جزاء الإنسـان بنوع عمله في الدنيا.

ففي الجانب الأول بيّنت السـورة أنّ الإنسان بين دافعين اثنيـن: الأول: التصديـق بالدين. الثانـي: التكذيب بالدين.

فجــاءت الآيات لتعالج دافع التكذيــب بالدين، وهو انحراف أساســي ورئيســي في دافع العمل عند الإنســان يصبغ عمله بالصبغة المنهي عنهــا، إذ إنّ التكذيب ليس مرتبطاً بتصورات الإنســان وقناعاته فحســب بل بما ينتج عن هــذا التصور من أعمــال، يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩﴾.

ولا شك أنّ السورة في مقابل هذا تترك للعقل الإنساني أن يستحضر الدافع الآخر المقابل لذلك، وهنا يخطر ببالي مباشرة مقابل (التكذيب) (التصديق)، إنه التصديق بالدين الذي يشمل صدق التصور والإيمان واستقامة السلوك والعمل.

وفي الجانب الثاني لهذه الســورة نجد أنها تبين أنّ مسار عمل الإنســان هو فعلاً ما يحدد هويته ومصيــره يوم القيامة، فهي تبيّن أنّ أعمال الإنســان كلها مسجّلة عليه، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾. ثم السورة تقسم الناس بناء على نوع عملهم إلى

قسمين: أبرار، وفُجّار، وتُبيّن جزاءهم، فأما مَن صدّق فكان من الأبرار فهو في نعيـــم، وأما من كذّب فكان من الفُجّار فهو في جحيم، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾.

وأخيرًا تُختتم الســـورة ببيان أنّ عمل الإنســـان الذي قدّمه هو الذي يُحدّد مصيره يوم القيامة وجزاءه وحاله، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾. فهناك لا يدافع عنك إلا عملك، ولا يحدد مصيرك إلا عملك، ولا أحد يملك لك من شأنك شيء إلا نفسك.

سورة المطففين

ضبط موازين العمل والعاملين وأثر ذلك في سلوكهم وجزائهم

أخطر شـيء في هذا الكون وهذا الوجود اختلال قوانينه ونواميسه، وكما لهذا الكون قوانين فللإيمان قوانينه، وللأخلاق قوانينها، وللسـلوك قوانينه، وإنّ اختلال هـذه القوانين مؤذن باختلال نظام الحياة كلها وفساده.

ولا شـك أنّ التطفيف خلل من هذه الاختلالات... وهو يستحق أن يُنبّه عليه، ويُشار له، ويُحذّر منه، بل ويُهدّد صاحبه ويتوعّد بالعذاب؛ فإنّ لهـذا التطفيف أثرًا اجتماعيًا على واقع حياة الأفراد والشـعوب، يمنع تقدمهـا ورقيها، بل يهدم أركان وجودهـا، ويهدد مصيرها. يقـول تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ

يُخۡسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ
يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾.

إنّ ثبات الميزان واستقامة أمره بين الناس حماية ووقاية من الهلاك في الدنيا والآخرة، وتشير السورة إلى ارتباط التطفيف بالميزان، وتحديدًا إلى اختلاله بالتعبير عن ذلك بكلمة قد تكون أقرب إلى السهولة واليسر والتقبل منها إلى التهويل والتعظيم، لكنها في الحقيقة تشير إلى قبح هذا الأمر وشناعته ولو في أبسط صورة وأقلها.

والسورة في حقيقة الأمر تهدف إلى معالجة أنواع اختلال الموازين عند الناس؛ وتحديدًا فهي تسعى إلى ضبط موازين عمل الإنسان ومواقفه وسلوكه، لتكون في الاتجاه الصحيح.

وهي:

أولاً

تُبيّن أنواع اختلال الموازين عند الإنسان

بيّنت السورة أنّ هناك نوعين من أنواع اختلاف الموازين،

وهُما:

الأول: اختـــلال الموازيـــن المادية، وهـــذا حاصل عند المطففين الذين من صفاتهم أنهم: ﴿.. إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾.

الثاني: اختلال الموازيـــن المعنوية: حيث تُقلَب الحقائق وتُزوّر المواقف، وظهر هذا في ادّعاء الكافرين في حق المؤمنين ووصفهم أنهم ضالـــون، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ۝٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢﴾.

ثانياً

هي تُبيّن منهج ضبط الموازين ومنع اختلالها

ويتشـــكل هذا المنهج من قيمتين أساســـيتين؛ التصديق بالدين، والتنافس في الحق والخير والصدق والوفاء:

وأما القيمـــة الأولى وهـــي التصديق بالديـــن، فتأتي في مقابل الخلل الذي ذكرته السورة في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١﴾. وفي ضوء هذه القيمة صنّفت الســـورة الناس إلى صنف مؤمن وصنف كافر، ثم هي قســـمتهم من حيث الصفات إلى (أبرار مقرّبون) وإلى (فجّار مجرمون) فصلت في شـــأنهم أنهـــم مكذبون معتدون آثمون، وكذلك فالسورة تضبط ميزان الجزاء فجعلته متناسبًا مع حال كل فريق ووصفهم. فريق كتابه في عليين، وآخر كتابه في سجّين. يقول تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾، ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨﴾.

ولم تُغفِل السورة أن تُبيّن أنّ سبب التكذيب بالدين والذي قاد إلى اختلال الموازين إنما هو الران الذي حجبَ الكافرين عن الحق بســـبب ما كســـبوا، يقول تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾، وســـيحجبهم كذلك عن الله في الآخرة وعن الجنة لأنهم صالوا الجحيم إن لم يضبطوا ميزانهم، يقـــول تعالـــى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ

﴿إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦﴾. لهذا كان التصديق بالدين والإيمان بالله أساس ما يضبط موازين تصورات الإنسان وأعماله.

القيمة الثانية: التنافس في الحق والخير والصدق والوفاء، يقول تعالـــى: ﴿.. وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦﴾. وهذا هو الأصل، إذ إنّ ضبط الموازين، وتحقيق قيمة التصديق بالدين يحتاج أن يتنافس فيها المتنافسون، وذلك تنافس مطلوب تحقق به مشـــروعك الإيماني في مقابل مشروع من يتنافسون في إخسار الموازين لأن موازينهم في الحقيقة مختلة.

سورة الانشقاق

بيان دافعية الإنسان وباعثه للعمل؛ فالمؤمن الذي يعمل الصالحات دافعه الإيمان، وأما الكفار المكذبون فدافعهم حب الدنيا وجمع ما فيها

كل ما في هذا الكون خاضعٌ لله، مستجيب لأمره لا يخرج عن إرادته سبحانه، وسورة الانشقاق تتحدث عن استجابة السماء والأرض لله تعالى، فهما قد أخذتا الإذن منه سبحانه، فكانت استجابتهما لأمره استجابة تكوين، فتحقق بذلك أمره سبحانه بما تكون عليه أحوالهما يوم القيامة يقول تعالى: ﴿إِذَا
ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣
وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٥﴾.

والإنسان في هذا الكون ينبغي أن يكون خاضعًا لله تعالى، يستمد منه حقيقة وجوده، ويأخذ منه أمره وإرشاده، فهو يسعى في هذه الحياة الدنيا منذ خلق عليها، ليلقى بعد ذلك ربه بكل

ما كسب، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾.

وكأن السورة تقول لك أيها الإنسان: قد علمت أنّ استجابة السماء والأرض لربهما استجابة تكوين، وأنّ عليك أن تستجيب لربك استجابة تكليف، فهل أنت في كدك وعملك تأخذ الإذن من الله فيكون مصدرك هو وحي الله تعالى؟ وهل أنت تستجيب لأمر الله تعالى كما تستجيب السماء والأرض؟

إنّ السورة تحدد بوضوح ما ينبغي أن يكون عليه دافع الإنسان في هذه الحياة، إنه التلقي من الله والاستجابة لأمره، فهي توجه الإنسان نحو الكشف عن حقيقة هذه الدوافع، وأن يشق فيها عن نفسه، وأن يختبرها في داخله، وأن يسعى لضبطها ليحقق الاستجابة لربه.

وتُعطينا السورة الكريمة مسارين اثنين لضبط دوافع الإنسان وسعيه وحركته:

المسار الأول

استحضار الجزاء على كل ما يقوم به ويقدمه، فذلك يصحح مسار الإيمان والسلوك معًا... وإلا فالضلال والهلاك، يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾.

المسار الثاني

التحذير من أسباب الانحراف والضلال المؤدية إلى اختلاف هذه الدوافع، وإلى انحراف سلوك الإنسان وعمله، وتفعيل قيمة الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح، فالسورة تكشف عن حقيقة دافع مَن لا يستجيب لله، وتذكره بوضوح، إنه «عدم الإيمان ورفض الخضوع لله»، وفي مقابل ذلك فهي

تكشف حقيقة الدافع عند مَن استجاب لله، إنه الإيمان والعمل الصالح، يقــول تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾.

إنّ صدق دافعية الإنسان، وضبط باعثه للعمل يُحقق عمله المرجو منه، وهو العمل الصالح.

سورة البروج

الثبات والاستقامة سبيل لرفع الدرجات

تتحدث السـورة عـن نموذج من التاريـخ تؤكد فيه قيمة الثبات عند المؤمنين والاستقامة على منهجهم وإيمانهم بالله، وعلى الرغم ممـا يتعرضون له من الابتـلاءات والفتن، يقول تعالـى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ٩﴾.

إنها سُـنّة الله في هذا الكون منذ فجر تاريخ الإنسـانية، وفجر الرسـالات السـماوية، وبدايات طريق الدعوة إلى الله تعالى...

وكلمة البروج فيها معنى العلو والسمو وارتفاع الدرجات، والحقيقة أنّ الناس في ثباتهم على إيمانهم هُم درجات كذلك، وأنّ ثباتهم واستقامتهم لدليل على ارتفاع درجاتهم.

والســـورة الكريمة توضح لنا كيف نُحسن إدارة المواقف في مثل هذه الحالات:

أولاً

فهي تُرشدنا إلى الثقة بالجزاء لأصحاب كل موقف، ومصير مَن ثبت على الإيمان في مقابل مصير مَن كفر وسعى إلى فتنة المؤمنين

فقد بيّنت الســـورة مصير مَن ثبت على الحق والإيمان في مقابل مَن كفر وسعى إلى فتنة المؤمنين، فيطمئن المؤمنون إلى أنّ الجزاء الذي ينتظرهم هو الجنة، وأنّ الجزاء الذي ينتظر مَن سعى إلى تعذيبهم وفتنتهم هو النار، فيطمئنون بأنّ العاقبة لهم، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ ذَٰلِكَ

ﭐلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾.

ثانياً

ثم هي تدعونا إلى الثبات وإلى تعزيزه في سلوكنا وحياتنا ليتحقق لنا الوعد بالنصر والتأييد في الدنيا والآخرة، وقد عزّزت السورة الكريمة ذلك من جوانب:

١. الإيمان بأنّ الله قادرٌ على كل شيء، وأنّ بيده مقاليد الأمور.
٢. أنه سبحانه مَن يملك السماوات والأرض، وهو مَن يتحكم بمصائر الخلق وأحوالهم، وأنه يؤوي عباده المؤمنين، ويهزم الضالين المكذبين.
٣. الاعتبار بالتاريخ وأحداثه، والنظر في أحوال الأمم السابقة ومصائرهم، وأنّ مَن جنّد نفسه لله والحق ليس كمَن جنّد نفسه للباطل والضلال.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ
وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٞ
لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾

بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾﴾.

وجاء حديث السورة عن فرعون وثمود تحديدًا لأنهما نموذجان على منهجين من مناهج الاستبداد:

- الأول: منهج الاستبداد الذاتي وطغيان النفس والسلطة، ويمثله فرعون.
- الثاني: منهج الاستبداد الجمعي وقوة الفساد الاجتماعي التي يصل إليها الإنسان، ويمثلها قوم ثمود.

٤. التمسك بالحق وحفظ النفوس عليه، وليس أعظم من القرآن الكريم ليربط الإنسان به نفسه، ويحفظ به حياته؛ فالمؤمن واثق بالله وحفظه لأنه يحفظ له قرآنه، ويحفظ له أثره في الحياة مهما تغيرت السبل وتأخر النصر.

يقول تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾﴾.

سُورَةُ الطَّارِقِ

أهمية حفظ الله في تحقيق القوة والنصرة للمؤمنين

نتدبّر هذه السـورة فإذا هي تُحدّثنا عن بعض مظاهر قدرة الله تعالى في الخلق وفي الوجـود، يقول تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤﴾. وجاء هذا القَسَم الذي تتجلى فيه قدرة الله وحفظه لتأكيد حقيقة ثابتة تلفـت انتباه المؤمن لها ليستثمرها في حياته، وهي قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤﴾، وسنجد أنّ السورة تركز على مظاهر قوة الله التي بها يكتسب المؤمن تأييد الله وحفظه له.

والسـورة الكريمة التي عدّدت لنا من مظاهر قدرة الله ما يتصل بهذا الكون الفسـيح، وهذه السـماء التي تظللنا، وهذه الأرض التـي تقلنا، وهـذه النفوس التي تكوننـا، تحرص أن

تربطنا بكل مظاهر القوة التي نحس بها في حياتنا ووجودنا، بل وتختار لذلك ألفاظًا مفعمة بالقوة، من مثل: «الطارق»، «الثاقب»، «دافق»، «قادر»، «قوة»، «ناصر»، «الصدع»، «فصل»، «يكيدون».

ثم هي تربطنا بالأثر الذي يخطر ببالنا لهذه القوة، وهو الحفظ والعناية والرعاية، ومن الألفاظ الدالة على ذلك في السورة: «السماء»، «حافظ»، «الصلب»، «الترائب»، «رجعه»، «السرائر».

إنّ السورة لتؤكد حقيقة قوة الله تعالى وحفظه للمؤمنين، ونصرته لهم، وأنه سبحانه يكيد بأعدائهم...

ولا تتعجب من أن تعلم أنّ سورة الطارق هي السورة الثانية في القرآن تتكرر فيها لفظة «الكيد».

إنّ السورة لتربط الإنسان بمظاهر قوة يشاهدها ويحياها:

١. فهي تُحدّثه عن القوة في خَلق الإنسان، يقول تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦

﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ فقد جعل الله هذا الماء الدافق هو أصل الإنسان الذي يشمل خصائصه.

٢. وهي تُحدِّثه عن قدرة الله على بعث الإنسان بعد الموت، يقول تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨﴾، ثم في قدرته على كشف ما في النفوس، يقول تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾.

٣. وهي تُحدِّثه عن أنَّ قُوَّته ليست من ذاته، إنما من قوة الله ونصرته له، يقول تعالى: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠﴾، فالقوة والتأييد والنصر تُعطى لمن صدق في إيمانه، واستقام في سلوكه.

٤. وهي تُحدِّثه عن القرآن الذي هو وحي الله للإنسان، ومصدر قُوَّته وأساس حفظه، يقول تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤﴾. والتعبير عن القرآن بأنه فصل وليس بهزل فيه معنى القوة، وحسم المواقف، لذا فإنّ اتباعك للقرآن يُكسبك القوة.

٥. ثــم هي تحدثــك عن قوة اللــه وكيده بأعدائــه، فإنّ مَن يُحسبون أنهم أقوياء لا تســاوي قُوتهم شيئاً أمام قوة الله ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾.

إنّ ســورة الطارق تُعلمنا أنّ حفظ اللــه لعباده يُحقق لهم القوة والنصرة، فاحفظ الله ليعطيك القوة والنصر.

سُورَةُ الأَعْلَى

منهج صناعة الإنسان الأعلى وبنائه الأمثل

تدعو السورة في افتتاحيتها إلى تسبيح الله تعالى وتنزيهه وتعظيمه...

وسورة الأعلى هي السورة الأخيرة في السور السبع المفتتحة بالتسبيح، ودعوتها للتسبيح هنا هو تأكيد على وجوب خضوع الإنسان لله تعالى، وأنّ هذا الخضوع هو الذي يرفع الإنسان، ويحقق له العلو في الدنيا والآخرة، يقول عز وجل: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾.

ولا يتحقق هذا الخضوع إلا إذا تحققت للإنسان معرفة صادقة بربّه ونفسه وما حوله وما يكون إليه مصيره ويؤول إليه جزاؤه.

والسـورة الكريمة تحقق لنا منهجًا واضحًـا منضبطًا في صناعـة هذا الإنسـان وتحقيق بنائه الأمثـل، ويظهر ذلك في الجوانب الآتية التي يمكننا أن نحس بها ونعكسها في واقعنا:

- أولًا: أن تتعـرّف على الله عز وجل: يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾.
- ثانيـًا: أن تتعرف على حقيقة نفسـك، حيث سـوّاك الله وهداك، وأنعم عليك بالنعم الجليلة.
- ثالثًا: أن تتعرف على مصدر التلقي عندك: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾ فمرجعك وحي الله تعالى، وأول بيان لك في القرآن هو «اقرأ».
- رابعًا: أن تُفعّـل منهج المراقبة: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾ فإنّ ذلك سـبب استقامتك واعتدال سلوكك.
- خامسًا: أن تتعرّف على منهج هذا الدين: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾ فهو منهج اليسر والتيسير وموصل إلى اليُسرى.

- سادسًا: أن تتعرف على واجبك ودورك الذي ينبغي لك أن تؤديه تجاه هذا المنهج: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾﴾ إنّ الدعوة إلى الله وتذكير الناس بالخير مهمة الأنبياء وهي مهمتك.
- سابعًا: أن تتعرّف على المنهج الذي يحقق لك الفلاح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾.
- ثامناً: أن تتعرّف على المؤثرات السلبية والإيجابية التي تُحدد مسارك وسعيك: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ فإيثار الحياة الدنيا قوة سلبية تعطلك عن الآخرة، وإن إيثار الحياة الآخرة قوة إيجابية تدفعك لتفعيل حياتك الدنيا وإعمارها.
- تاسعاً: أن تتعرّف على أصول هذا المنهج في بناء نفسك لتكون الإنسان الأعلى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾؛ فهو منهج رباني أصيل ممتد على عمر الإنسان الإيماني.

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

قيمة الإنسان ومكانته من خلال عمله الذي يتغشاه فيدل عليه في الدنيا والآخرة

تتحدث السورة عن بعض مشاهد الآخرة وهي تبين لنا جزاء الإنسان المترتب على عمله، يقول تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ
حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ
٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ٥ لَّيۡسَ لَهُمۡ
طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ٧ وُجُوهٞ
يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ١٠ لَّا تَسۡمَعُ
فِيهَا لَٰغِيَةٗ ١١ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ١٢ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ١٣ وَأَكۡوَابٞ
مَّوۡضُوعَةٞ ١٤ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ١٦﴾

وفي هذا تأكيد على أهمية العمل وأثره على حياة الإنسان في الدنيا والآخرة.

والملاحظ أنّ في اسـم «الغاشية» ما يشير إلى ما يتغشى وجه الإنسـان، وأنه كذلك فـي الدنيا والآخـرة، فكم من أثر دنيوي لأعمالنا الصالحة أو الفاسـدة يظهر على وجوهنا نورًا أو عتمة، وعلى أحوالنا تيسـيرًا أو تعسيرًا، وكم من أثر لها في الأخرة كذلك على وجوهنا ومصيرًا؟!!

نعم إنها أعمالنا تتغشانا...

لقد دعت السـورة إلى التفكر في بعض مظاهر خلق الله تعالـى، يقول تعالـى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠﴾، وهـذا التفكّـر يحقق أمرين اثنين:

- الأول: أنه يدل الإنسان على الله، وعلى أنّ الكون له وظيفة محددة يؤديها، وأنّ هذه الوظيفة مرتبطة بوجود الإنسـان؛ فالعاقل هو مَن يعرف حقيقة خلقه ووجوده ويقوم بما هو مطلوب منه.
- الثاني: أنه يدل المؤمن علـى أعظم أعماله وأهمها، وهو

الدعوة إلى الله تعالى، يقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١﴾، والمؤمن الداعية يفيد من نظره لهذه المخلوقات بما ينعكس على عمله وسلوكه...

فمِن الإبل يأخذ قيمة الصبر والثبات...

ومِن السماء يأخذ قيمة السمو والرفعة...

ومِن الجبال يأخذ قيمة الثبات والرسوخ...

ومِن الأرض يأخذ قيمة السعة وانتشار العمل وتمكين أثر الدعوة إلى الله عز وجل.

ومما يوضح ذلك ما اختتمت به السورة من تأكيد لدور الداعية إلى الله وهو واجب التذكير، تذكير الإنسان بقيمة العمل المطلوب منه ودوره في تحديد مكانته في الدنيا والآخرة، فإن لم يستجب فحسابه على الله، فالمطلوب من الدعاة إلى الله هو التذكير فحسب، يقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ۝٢٤ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾.

سورة الفجر

اليقين بأنّ العاقبة للمؤمنين المصدّقين يصنع التفاؤل والأمل والثقة التي تدفعك إلى العمل

توضح السورة عاقبة المكذبين، وتزرع في نفوس المؤمنين الثقـــة بموعود الله تعالى بالنصر، وقد بـــدأت حديثها بالزمن، يقول تعالـــى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾ والزمن جزء من أية مشـــكلة، وهو كذلك جزء من حلها.

وتبدأ السورة بالقســـم بـ«الفجر» وهو يرمز إلى الاشراق، «وليال عشـــر» التي نُرجّح أنها أكثر عشرة ليال من الشهر منيرة، «والشفع والوتر» أي الزمن ويدل على الأشهر القمرية التي تمرّ شـــفعًا أو وترًا، «والليل إذا يسر» أي الظلمة وما فيها إذا زالت،

وما أحوج الإنسان إلى صناعة الثقة بالله وبث الأمل والتفاؤل في نفسه، والمؤمن يدرك أنه مهما كانت صعوبة الأحوال، فالعاقبة للمؤمنين.

والسورة الكريمة تبني قيمة التفاؤل والثقة من أكثر من جانب:

أولاً

فهي قدّمت نماذج على عاقبة الذين اغترّوا بقوّتهم فطغوا وأفسدوا، ولكن في نهاية الأمر استحقوا العذاب فخسروا، وفي هذا تهديد لأهل الباطل، وتطمين لأهل الإيمان، يقول تعالى:
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ
يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾
وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟
فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ
لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾.

ثانياً

عالجت موقف الإنسان السلبي من الابتلاء، وبيّنت أنّ الحياة ابتلاء كلها، وأعظم ابتلاء فيها تكليف الإنسان واختياره، وإن فقه الإنسان لهذه الحقيقة هو ما يمكنه أن يفهم عطاء الله ومنعه، وأنّ العبرة بعاقبة الأمور، فعطاء الله ليس دليلاً على رضاه، ومنع الله ليس دليلاً على سخطه، يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾.

ثالثاً

بيّنت السورة أخطر معوقات التفاؤل عند المؤمن، وأكثر ما يشغله عن تحقيق واجبه ودوره، وأساس هذه المعوقات تلك السلبية الاجتماعية التي يعيشها، يقول تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾.

رابعاً

ثم ختمت السورة بتقديم صورتين اثنتين: الأولى: صورة النفس التي ندم صاحبها لأنه لم يفقه حقيقة الابتلاء والتكليف، وحقيقة أنّ الأمور بعاقبتها، فلم يقدم شيئًا لحياته الحقيقية في الآخرة، يقول تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾، والثانية: صورة النفس المطمئنة التي فقهت حقيقة الابتلاء والتكليف، وآمنت بأنّ العاقبة لمن آمن وصدّق فكانت واثقة بأمر الله مطمئنة لعطائه، فقدّمت ورضيت، فأرضاها الله، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾.

سُورَةُ البَلَد

معرفة الإنسان بقدراته تُمكّنه من اختيار طريقه الصحيح في العمل والإنجاز وبناء مجتمعه وتجاوز العقبات

يحتاج الواحد منّا دائمًا إلـــى معرفة قدراته التي يمتلكها، وأن يتعــرف على دورهــا في تمكين عمله وجهده ونشــاطه، والقرآن كله يدلنا على ذلك؛ لكن ســورًا معينة وضحت ذلك، وبيّنته بشــكل أكثر تفصيلاً، ولعل سورة البلد هي السورة التي تعالج فينا اكتشاف هذه القدرات، وتفعيلها، وتنظيم استثمارها، وتوظيفهــا. يقول تعالــى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾.

ولا تُغفــل الســورة حقيقة باتــت واضحة عنــد من يقرأ القرآن ويتدبّره، وهي حقيقة وجود هذا الإنســان ومكابدته في هذه الحياة الدنيا، وحقيقة بذلــه وجهده وعمله، يقول تعالى:

﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾.

والســـورة تذكر لنا أمورًا ثلاثة نحس من خلالها أننا نحقق تمكين دورنـــا وحكمة وجودنا في هذه الدنيـــا، فهي تذكر لنا المـــكان «البلد» الذي نعيش فيه ونعمـــل، ونجتهد لنؤدي في دورنا ورسالتنا في الحياة، وكذلك هي مكة للنبي ﷺ والمدينة له ولأصحابه، بل والأرض جميعها لأصحاب هذه الدعوة.

ثـــم هي تذكر لنا ثانيًا حقنا في حمل رســـالتنا وتمكننا من أداء واجبنا فيها، وذلك بتقدير الله وأمره في تسليم راية الإيمان لهذه الأمة ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾.

والأمر الثالث الذي تذكره لنا السورة في مقدمتها، ونحسّ مـــن خلاله بدورنا وواجبنا؛ أنها ذكرت لنا تواصل هذه الأجيال وتعاقبها ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ لندرك ذلك الواجب في توصيل هذه الأمانة وتبليغها...

والســـورة بشـــكل واضح تُبيّن لنا منهجًا دقيقًا في تفعيل قدراتنـــا وتمكينها؛ فهي تحدد لنا معيقات التمكين أولًا ليكون

ذلك سببًا في التخلص منها وتجاوزها، وأخطر هذه المعيقات هي الغفلة....

الغفلة عن قدرة اللـــه تعالى ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥﴾، والغفلة عن مراقبة الله: ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾، والغفلة عن معرفة أسباب التمكين ذاتها، وأهمها المال وتوظيفه: ﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦﴾.

ثم ثانيًا تُحدّثنا الســـورة عن جانب آخر من منهج التمكين هذا، وذلك أنها تذكر لنا أهم الأدوات التي يملكها الإنســـان، وينبغي أن يستثمرها ليحقق التمكين.

وأول هذه الأدوات العينان، وهُما محل المشاهدة والنظر والتفكر، يقول تعالى: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨﴾.

وثاني هذه الأدوات اللسان والشفتان، وإذا كانت الشفتان محلاً للنطق والإفصاح والبيان، فاللســـان إضافةً إلى ذلك هو عنوان ثقافة الإنســـان وفكره وتوجهه، يقول تعالى: ﴿وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩﴾.

وثالث الأدوات النجدان وهو إشارة إلى الهمة العالية التي يسعى فيها الإنسان للنجاح في الدنيا، والنجاح في الآخرة؛ فإنّ هداية الإنسان إلى منهج الإيمان الذي يسعى من خلاله لتحقيق النصر والفوز، في الدنيا والآخرة، من أعظم قدرات الإنسان وإمكاناته، يقول تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ فالنجدان هُما طريق الدنيا وطريق الآخرة.

والجانب الثالث في هذا المنهج أنّ السورة تدعو الإنسان إلى المبادرة و«اقتحام العقبة»، أي الإقدام والعمل والإنجاز والتغلب على كل الصعوبات والمعيقات، ويكون ذلك بتفعيل القدرات: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾، ثم السورة تعطينا نماذج يتحقق بها نجاحنا في تفعيل طاقاتنا، وهي أمور أساسية في حياتنا، وبعضها أعمال اجتماعية: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦﴾ وبعضها بناء علاقات بينية، ودعائم تواصل قوية: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧﴾. إنها مطلوبات كلية أساسية تمثل أساس حرية الإنسان

وعطاءه الذاتي والمجتمعي، إنّ المطلوب الأول هو فك رقبته والسعي إلى فكاك رقاب الآخرين، والمعنى في الفك ليس هو ذاته تحرير رقبة، ولعل المناسب للسياق هنا أن يكون المقصود تحرير النفس من كل عبودية لغير الله، فلا تعود النفس مرتهنة إلا لأمر الله تعالى، فلا يؤثر في عبوديتها له شيء.

ثـم جاء تفصيـل المطلـوب الثاني والذي يمثـل البعد الاجتماعي بذكر بعـض نماذجه كالصدقـة والكفالة ورعاية اليتيم، ثم التواصي بالإيمان، والصبر، وصلة الأرحام.

أما الجانب الرابع فالسـورة توضح لنا منهج عمل الإنسان في الدنيا من خـلال تصنيفه وجزائه في الآخـرة؛ فالناس إما أصحاب ميمنة أو أصحاب مشـأمة، يقـول تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩﴾.

إنّ البلد هو كل مكان تغرس فيه هذه المعاني وتحققها وتنجح في تفعيلها في حياة الناس، وحلك فيه يعني ظهور قيم الإسلام وحقائقه الإنسانية التي تعمل عليها.

سورة الشمس

تسوية النفس واستعدادها للاختيار والعمل والتغيير، وبيان أنّ قوّتها في تزكيتها وتمكين علاقتها بالله، وأنّ خيبتها وخسارتها في بُعدها عن منهج الله

جاءت السـورة الكريمة بأطول قَسَم فـي القرآن الكريم مبتدأ بالشمس التي تُشير إلى معنى الوضوح والإشراق والقوة والتأثير الإيجابي.. كل ذلـك لتخبرنا عن حقيقة كبرى متعلقة بالنفس الإنسانية التي هي أساس في حركة الإنسان ووجوده.

جـاءت لتقول لنـا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ إنهمـا منهجان في فهم هـذه النفس وبنائها وتحديد سيرها وسلوكها وفاعليتها..

وإذا كان كل ما أقسم الله به في هذه السورة قد جاء معرفاً إلا «النفس» فقد جاءت نكرة!!

فإنّ هذه المخلوقات قد عرفــت طريقها ووحيها وتكليفها التكوينــي الذي حدّده الله لها فجعلها مُســخّرة به لا تخرج فيه عن إرادته، أما «النفس» الإنســانية فهي أمام مواجهة حقيقية في اختيــار طريقها ومنهجها، ومطلوب منهــا أن تعرف وحيها، إنه وحي التكليف والاختيار، لتختار بعد ذلك منهجها الذي سيحدد عملها ومسلكها، فإما منهج «التزكية» وإما منهج «التدسية».

وها هي النفس تأخذ من كل ما ســبق إرشاداتها وتحديد مساراتها...

تأخذ الإشــراف والقوة، والمتابعة والانســجام، والتجلية والوضوح، والتغشــية والســتر، والبنــاء والتقويم، والتيســير والتمهيد... كل ذلك لتعرف النفس طريق تسويتها...

والسورة الكريمة تحدد لنا طريق تسوية النفس من جانبين اثنين:

- الجانب الأول: بيان منهج بنائها وإعدادها:
- والجانب الثاني: بيان عاقبة إهمالها...

ففي الجانب الأول تبين لنا أنّ النفس بين مسلكين اثنين؛ إما مسلك الفجور، وإما مسلك التقوى، وهذان مسلكان يمثلان حقيقة هذه النفس في خطاب القرآن كله عنها.

فمسلك التقوى لا يتحقق إلا بمنهج «التزكية» القائم على تهذيب النفس وتوجيهها وفق خطاب القرآن ومنهجه لتكون النفس كالشمس مشرقة واضحة.

وأما مسلك الفجور فيظهر «بتدسية النفس» هذه التدسية القائمة على التخبئة والانكفاء بالنفس عن الحقائق القرآنية والإيمانية التي تُصلحها وتُهذّبها، وحينها تكون الخيبة... وأية خيبة!!!

وفي الجانب الثاني تُبيّن لنا السورة عاقبة إهمال النفس وتدسيتها، وهي تشير إلى ذلك من خلال التحذير من «الطغيان» الذي هو ثمرة حتمية لفساد هذه النفس، وسبب لهلاكها وهلاك الأمم. وذكرت لذلك نموذجاً تاريخياً شاهداً على ذلك: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾

﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ۝١٥﴾. إنها صورة من صور الطغيان التي قد تتكرر في أيّ وقت وأيّ مكان، طالما أننا لم نسلك بالنفس طريق التزكية، وطالما أننا تركناها في طريق التدسية.

سُورَةُ اللَّيْلِ

ضبط اختلاف سعي الناس وتوجههم في أعمالهم وأنّ سعيهم متعدد متنوع

إنّ سـعي الناس فـي حياتهم مختلف اختلافًـا يؤثر في أعمالهم وسلوكهم وفي نتائج أعمالهم وجزائهم...

هكذا تُقرّر السورة بكل وضوح...

والسورة تمنحنا صورًا متقابلة في سعينا وصفاتنا وجزائنا...

وعجيب أن تبدأ السورة بالقسم «بالليل» الذي يحمل معنى الظلمة والسـتر والتغطية، وفي ذلك إشـارة إلى خفاء مقاصد الناس وبواعثهم واختلاف سـعيهم، يقول تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾، وتلكم هـي الحقيقة التي تُدير السـورة الكريمة آياتها حولها...

ومَن غير الله تعالى يعلم دقائق هذه الأمور وتفاصيلها؟!!

ومَن كذلك غير الله يُجليها ويكشفها ويحاسب عليها؟!!

وهنا تتجلى الحقائق كما يجلي لنا النهار حقائق ما حولنا وخبايا ليالينا...

تُشير السورة بوضوح إلى وقت سعي الإنسان ليلاً ونهارًا، وهُما وقت عمل الإنسان وتخطيطه وتدبيره بالخير أو الشر تغشياً أو تجلياً، كما تُشير بوضوح إلى شمول كل فرد في هذا السعي ذكرًا أو أنثى، وأنهما على السواء محل واحد في التكليف والسعي والعمل. كل هذا في سياق تأكيد الحقيقة المطلقة: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾.

وصورة أخرى متقابلة تمنحنا إياها السورة الكريمة في تشتت هذا السعي، وبيان النتيجة لكل اختلاف فيه؛ فصورة أولى هي العطاء والتقوى والتصديق بالحق والإيمان، يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧﴾ ونتيجة ذلك التيسير لليسرى.

وصـــورة أخرى هي البخل والاســـتغناء والتكذيب بالحق والإيمان، يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾ ونتيجة ذلك التيسير للعسرى، والتردي في حياته الدنيا.

هُمـــا إذًا طريقـــان ومســـلكان: عطـــاء بالخيـــر، وتقوى للـــه تعالـــى يعـــززان الإيمـــان والتصديـــق بالحـــق، وبخل بالخيـــر، وتكبّر علـــى الله، واســـتغناء الإنســـان بقدراته عن اللـــه يُعـــززان الكفـــر والعنـــاد والتكذيب بالإيمـــان والحق. فيحتاج أحدُنا حينها أن يعرف ما هو المخرج...

ولا تتركنا الســـورة حائرين تائهين، بل بيّنت لنا أنّ المخرج هو ضبط سعينا وفق المسار الصحيح، مسار الهداية التي يُكرمنا بها ربنا، ويدلنا بها على طريق النجاح في الأولى والآخرة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾.

وتعود بنا السورة لترسم لنا صورة جديدة متقابلة، يظهر من خلالها حال الإنســـان؛ فهو إما أن يكون شقيًا وذلك أنه كذَّب

بالحق وتولّى عنه، فجزاؤه جهنم، يقول تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾، وإما أن يكون تقيًا، وذلك أنه آمن وبذل وأنفق وأخلص وصدق مـع اللــه، فجزاؤه الجنة، يقول تعالــى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

سورة الضحى

رعاية الله لك وتأييده ونصرته لك يمنحك الإيجابية ويُخلّصك من ضعفك ويدفعك للحركة والنشاط والفاعلية، وللعطاء بلا انقطاع

بدأت السورة بالقسم «بالضحى» إشارة إلى النهار في أجمل إشراقاته... والضحى هو وقت ثبات الصبح واستقرار فَجرِه، وهو وقت العمل وفاعليته واستقامته، ثم جاء القَسَم بـ «الليل إذا سجى» أي سكن وهدأ، فالليل بما يحمله غالباً من معنى الظلمة والظلام، والكيد قد سكن، وهما محل عمل الإنسان وعطائه...

وبعد أن وضعتنا السورة الكريمة بين هاتين الحالتين قدّمت لنا ثلاث حقائق، هي: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾.

فاعلم أولًا أنّ الله خلقك ولن يتركك، واعلم ثانيًا أنّ عاقبة أمرك خير مـــن أوله؛ كما هي الآخرة خيرٌ لك من الدنيا، واعلم ثالثًا أنّ عطاء الله دائم، فعليـــك أن تفهمه وفق معادلة الرضى في نفسك.

إنها حقائق كبرى حريٌّ بمـــن فقهها وأدركها أن تندفع فيه قوة الإيمان والإيجابية والفاعلية للعمل والحركة والعطاء...

لا بد لك إذًا أن تتفقد احتياجاتك... وأن تتعرف عطاء الله لك فيها...

ثم لا بد لك أن تنتبه لأخطر مظاهر ضعف فاعليتك وهدم إيجابيتك، وأن تتعرف على سلبيات تواجهك في حياتك...

فقد يكون اليُتم واحدًا من مظاهـــر غياب الدعم والنصرة والمســاندة الاجتماعيـــة... فالواجـــب تحقيق قيمـــة الإيواء والتكافل الاجتماعي: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾.

وقد يكـــون الضلال والانحراف عـــن الحق أخطر مظاهر غياب التوجيه والإرشـــاد والبناء الإيمانـــي الصحيح، وحينها

الخـــلاص من ذلك يكـــون بتحقيق منهج الإرشـــاد والهداية: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧﴾.

وقد يكون الفقر والعوز أشـــد مظاهر غياب الكفاية وسد الحاجة الأساســية للحيـــاة، وحينها تحتاج فعـــلاً إلى العمل للاستغناء والاستقواء على ضنك العيش والحياة: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨﴾.

لكن الســـورة لا تكتفـــي بأن تُرشـــدنا وتدلنـــا على هذه الاحتياجات وما أعطانا الله من كفاية لسد هذه الاحتياجات...

بل هي تُعلمنا كيف نكون نحن أهل العطاء لنسد حاجات غيرنا...

فقد يكـــون حمل هموم الناس وتقويـــة ضعفهم، وتفعيل دورهـــم في المجتمع، أكثر ما نُقدّم به الدعم والنصرة للضعفاء والمستضعفين: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩﴾.

وقد تكون صناعة الوعي وســـد حاجات الناس المعرفية أبرز ما نقوم به لتحقيق الإرشـــاد والتوجيه، وتحقيق الهداية في

حياة الناس: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠﴾، فأرشد السائل ودله ولا تنهره.

وقد يكون ربط عملك وجهدك ونشاطك وفاعليتك بعطاء الله وإنعامه وتفضله عليك، أعظم ما نحقق به كفايتنا الاقتصادية والمالية، إذ إنّ نشرك لهذا الخير عبادة كبرى: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾. فأكرم الفقير وأعطه ولا تمنعه.

ولا تنس أنّ أعظم نِعَم الله عليك وعطاءه لك هو الإيمان، فتحدّث عن نعمة الله عليك بتبليغ حقائق الإيمان وتوصيلها للآخرين.

سورة الشرح

عطاء الله لك وتأييده دافع إيجابي للاستمرارية في العمل وضبط توجهك إليه في مقاصدك وأعمالك

بدأت السورة الكريمة بالحديث عن نِعَم الله تعالى وعطاءاته الجزيلة لنبيّه الكريم ﷺ، لترتب بعد ذلك على هذا الإقرار حقيقة من حقائق هذا الدين المستقرة التي تصنع في نفس المؤمن به الإيجابية والثقة بتأييد الله تعالى وفرجه وتيسيره للأمور، تلكم هي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾.

تبدأ السورة حديثها لنا في بيان أنواع هذه العطاءات التي تصنع في نفس صاحبها القوة والإيجابية والدافعية للعمل:

إنها عطاءات ثلاثة عظمى:

شـرح الصدر بالإيمان وثبات حقائقـه في القلب: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾، تلكـم هي القاعدة الراسـخة، والمنطلـق المتين، وتحقيق راحتـك، وإذهاب همك، وذلك أثر تحقيق مقصدك وتحقق ثمرة جهدك الذي تبذله في الدعوة إلى الحق والإيمان: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾، وتأكيد صدق منهجك ودعوتك، وذلك تراه أنت في تمكين دينك وعلو شـأنه وارتباط شـأنك به علواً وكرامة: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾.

إنها عطاءات عظمى تؤكد لنا حقيقة كبرى ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾؛ فما من عُسـر يمرّ به الإنسان إلا وجعل الله تعالى اليُسر معه ملازمًا له؛ فمَن آمَن بالله ووثق بقدره وحكمته ورحمته وفضله فإنّ ذلك سـيبعث أثر الإيمان صادقاً في حياته، وستعظم نفسه فوق مظاهر ضعفها كلها.

إنها حقيقة دافعة للعمل والبذل والعطاء والتقدم والإنجاز، والبعد عن العجز والكسل والتلكؤ...

إنها حقيقة عملية يستطيع المسلم أن يستشعر وجودها، وأثرها في حياته بشكل واقعي، ولعله يدرك ذلك من خلال أمرين اثنين:

١. الاستمرار في العمل وتحقيق دعوته ورسالته ودوره الذي أناطه الله به، وعدم الانقطاع عن ذلك ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾، فبادر بعد كل عمل إلى عمل، وبعد كل همة إلى همة أخرى.

٢. تصويب المقصد وتصحيح النيت، فاختبر دافعك وبواعثك ليكون توجهك دائماً في كل أعمالك لله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾.

سورة التين

إحسان تقويم الإنسان في تصوراته وأعماله يتحقق بقوام هذا الدين وقيوميته

هناك حقيقة أساسية واضحة من خلال قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾

أرادت السورة الكريمة أن تضعها أمامنا، أو أن تضعنا في معناها.

السورة تؤكد بعد أن أقسم اللهُ فيها بمواطن رسالة الأنبياء الثلاثة موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، أنّ الدين الحق عند الله الإسلام، وأنّ الدين الحق هو ما ختم اللهُ به هذه الرسالات، وهي رسالة محمد ﷺ، وأنّ ذلك هو المنسجم مع خلق الإنسان مقوماً على الفطرة السليمة التي ترشده إلى الإيمان بالله تعالى يقول تعالى:

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ٣
لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾.

والسورة تحقق قيمتها الأساسية بالتركيز على أمرين اثنين:

الأول

بيان صفاء فطرة الإنسان وأنها تدل على الإيمان، والتحذير من ارتكاسها وتشويهها بما يؤثر فيها من مؤثرات محيطة بالإنسان.

الثاني

بيان أنّ حُسن تقويم الإنسان ومحافظته على فطرته يتحقق باتباع دين الإسلام.

ويظهر حُسن التقويم للإنسان بـ:

١. صدق الإيمان بالله تعالى.
٢. العمل الصالح.
٣. التواصي والتناصح بالحق بحثاً عنه ودعوة إليه وتمسكاً به.

٤. التواصي والتناصح بالصبر ثباتـــاً على الإيمان وفي وجه التحديات والتشويهات والاســـتهدافات التي تريد إخراج الإنسان عن منهج هذا الدين.

إنّ الخروج عن هذا المنهج الذي تُقرّره الســـورة، وهو لا شك منهج قرآني شامل، إنّ الخروج عنه ارتكاسة لتلك الفطرة وردّ لها إلى أسفل سافلين....

سورة العلق

تحقيق منهج حُسن تعلق الإنسان بالله ومقاومة طغيان نفسه

الوقوف مع أول سورة نزلت من القرآن الكريم، في أول لقاء وحي السماء مع الأرض أمرٌ ليس بالشيء السهل كما قد يتوهمه بعض الناس...

إنه أمر يحتاج إلى حضور كامل، حضور بمقدار ذلك الحضور الذي رافق نزول السورة أول مرة، ويكفيك أن تحرك فيك بعضَ هذه المعاني كلمة (العلق) التي اختيرت لتكون اسماً للسورة، لتبقي صلة الإنسان بما حوله، وتعلقه بما حوله، مفتاح حياته ومصيره في الآخرة.

جاءت سورة العلق لتوجّه الإنسان نحو تحقيق حسن التعلق بالله وفق منهج هذا الدين الحق، وترك التعلقات الأخرى التي يصنعها البشر وتصنعها الأنظمة الوضعية

والماديـــة البشـــرية، ليقـــاوم بذلـــك كل أســـباب الطغيـــان.
وقد جاء حديث الســـورة عن العلق في ســـياق دعوة الإنسان إلى فهم حقائق الأشـــياء وتوظيفها وفق مراد الله، يقول تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾.

إنّ الإنســـان بطبعه كائن متعلق، فـــأيّ نوع تعلق هو الذي يصنع له الكرامة!!

إنـــه التعلق بالله تعالى، والتعلق بمنهـــج الإيمان، هما ما يحققان للإنســـان الكرامة... وأيّ كرامة تلـــك إذا لم تكن قد بُنيت على منهج العلم والقراءة!!

لا شك أنّ هناك حقائق أساسية تقدمها لنا السورة الكريمة:

الأولى

أنّ الإنســـان بين نوعين أساسيين من أنواع التعلق: فإما أن يتعلق بالله الذي خلقه، فتكون نتيجة ذلك التعلق أن يســـتمد

حقائق تصــوره من تعليم الله له، يقــول تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾، وإمـا أن يكون تعلقه بغيـر الله عز وجل، فتكون النتيجة هــي طغيان النفــس وانحرافها؛ لأن الإنســان حينئذ يشعر أنه مستغن بقدراته عن كل مصادر علم الوحي والإيمان والمعرفة، يقول تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾.

إنّ إيمان الإنســان بحقيقة نفسه ووجوده، وأنّ مصيره إلى الله، يضبط في نفســه حســن تعلقه وتوجهه لله تعالى، يقول تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾.

الثانية

أنّ تحديــد أعمال الناس وصفاتهم يكــون وفق تعلقهم، يقــول تعالــى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾؛ فمَــن تعلــق بالله

حقــق الهداية، وأمر بالتقوى، وأدّى واجبات عبادته لله تعالى، ومَن تعلق بغير الله عــز وجل انحرف عن الحق، وصدف عن دين الله، وضلّ طريق الهدى، وكذّب الحق وتولى عنه، وتمرّد على منهج الله.

الثالثة

بيان عاقبة مواقف الإنســان وتعلقه بالله أو بغيره من القيم الأرضية:

إنّ مَن يقفــون في وجه هذا الديــن، ويجتمعون متآمرين على قيمه وحقائقه، فإنّ الله تعالى لهم بالمرصاد.

وإنّ واجــب مَن آمَن بالقرآن وصدق حقائقه أن يثبت على تعلقه بالله تعالى، وأن يواجه طغيان نفســه بالاستســلام لأمر اللــه تعالى بالعبادة والتقرب إلى اللــه؛ فهمًا وإيمانًا وتصديقًا وعمــلاً. يقول تعالــى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾.

إنّ ضبط التعلق عند الإنسان يبدأ بصحة المنطلق؛ الذي يبدأ من فهم حقائق هذا الكون، وتوظيفها وفق مراد الله تعالى، فهي لا شك باسم ربك الذي خلق... ثم يكون بضبط منهجية التلقي والقراءة والتعلم، ويكون كذلك بضبط السلوك والمسار وخط السير على منهج الله تعالى.

لقد استطاع أول بيان قرآني أن يجمع هذه الحقائق العظيمة في كلمات معدودة متداولة في الثقافة الإنسانية... لكنه الله الذي نفخ في هذه الألفاظ روح الإعجاز...

نعم، هي مفردات متداولة (اقرأ، اسم، رب، خلق، الإنسان، علق، أكرم، علم، القلم) تسع كلمات في خمس آيات، نظمت عشرين كلمة، لكنها تحمل كل هذه المعاني وأكثر.

إنه القرآن الكريم الذي يقول لك (اقرأ) أي تعلّم لتفهم، ويقول لك (باسم ربك) لتكون قراءتك وتعليمك عملاً وفق منهج الله الذي يرسمه لك في كتابك العظيم.

إنه القرآن.... وأيّ قرآن!!!!

سُورَةُ القَدْرِ

قَدر الإنسان ومكانته يتحققان باتباعه للقرآن

تتحدث سورة القدر عن حقيقة من حقائق الدين المتعلقة بالقــرآن الكريم، وإنزال الله تعالى لــه في ليلة القدر من ليالي رمضان المبارك.

وفــي ذلك تأكيد لصدق القرآن وأنه وحي من الله، وتأكيد لصدق النبي ﷺ، وأنــه موحى إليه من ربه، وأنّ من ضرورات ذلك اتباع القرآن والاهتداء بهديه.

ولعل في تسمية السورة بهذا الاسم، ما يدل على تقدير الله تعالى للأمور وفق علمه وقدرته وحكمته ســبحانه، كما أنّ في ذلك إشارة إلى قَدر القرآن ومكانته، وقَدر مَن أُنزل عليه، وقَدر الأمة التي تحمله، يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ٤
سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ٥ ﴾.

إنّ هذا القدر، وهذه المكانة، لا ينالهما الإنسان بالتمني، وإنما يحققهما بحسن الاتباع، وصدق الأخذ بالقرآن وما فيه من توجيهات وهدايات.

لكأن هذه السورة العظيمة التي جاءت بعد سورة العلق تؤكد لنا أنّ القرآن... القرآن وحده هو ما يحقق لنا الشرف والمكانة إن أحسنّا التعلق به.

سُورَةُ البَيِّنَةِ

الحق يحتاج إلى وضوح الحُجّة والبيّنة ليتخذ الإنسان موقفه منه، فينفك عن القيم والسلوكيات السلبية ويتعلق بالقيم الإيجابية

يُعد الدليل أساساً في إثبات أيّ ادّعاء، وكذلك فإنّ البينة القائمة على وضوح الدليل وتطبيقاته وسلامة نتائجه، تُعد من أهم ما يحتاجه العقل الإنساني.

بل ذلك هو ما يشكل نقطة الأساس فيما يتبنّاه الإنسان من قناعات أو ينفك عنه من قناعات.

وإذا كانت مواقف الإنسان وسلوكياته مبنية على تصوراته وقناعاته، ومتأثرة بها، فإنّ أهم ما ينبغي أن ننتبه إليه في هذا الأمر، هو الإيمان والاعتقاد، ذلك أنه يشكل الأساس في علاقة الإنسان بنفسه، وخالقه، ومن حوله.

وتُعد سورة البينة السورة الأساسية في تأكيد حاجة الإنسان للحجة والبينة، لأجل ضبــط توجهاته واختيارته، ولذلك فهي تحقق قيمها الأساسية من خلال:

أولاً

التأكيد على أهمية الحجــة الصادقة الواضحة في اختيار الإنســان طريقه وإيمانه، وتعلقه بهذا الطريــق، وانفكاكه عن غيــره، يقــول تعالــى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾.

ثانياً

توضح الســورة أنّ البيّنــة الصادقة، والحجّــة القوية في الإيمان، إنما هي «الدين القيّم» القائم على صدق الرسول ﷺ، وصدق الوحي الذي جاء به، والقرآن الذي أُنزل عليه: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾.

ثالثاً

وضّحت السـورة أنّ الناس ينقسـمون بحسب قناعاتهم ومواقفهم في شأن الحق والبينة الدالة عليه إلى قسمين، وتكون مواقفهم بين موقفيـن: موقف المتبع المتعلق بالحق، وموقف المنفـك عنه، ويظهر ذلـك في لفظتي «تفـرّق» و«منفكين»، ويكون لكل صنف من الناس بحسب قناعاتهم هذه، ومواقفهم تلك «وصف» و«أعمال» و«جزاء».

أما وصفهم:

- فالمتعلقـون بالحق، المتصلون بـه، المنفكون عن غيره: هُم المؤمنون، وهؤلاء تُطلق عليهم السـورة وصف (خير البريّة).
- والمنفكون عن الحـق، المتعلقون والمتصلون بغيره: هُم الكافرون، وهؤلاء تُطلق عليهم السورة وصف (شرّ البريّة).
- وأما أعمالهم:
- فالمتعلقـون بالحق: هُـم عابدون مخلصـون، يقيمون

الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويعملون الصالحات.

- والمنفكون عنه: هُم من خسر تلك الأعمال فأفسدوا.
- وأما جزاؤهم:
- فالمتعلقون بالحـق: لهم جنات خالديـن فيها، وينالون رضوان ربهم.
- والمنفكون عنه: لهم نار جهنم خالدين فيها.

هكـذا بكل وضـوح واختصار تُقدّم لنا السـورة الكريمة العلاقة مع الحق، الحق الذي جاء به القرآن، وتُحدد لنا مسـار الطريـق من أوله إلى نهايته، فليس عليك إلا أن تُحدد ما تنفك عنه، وما تتعلق به...

سُورَةُ الزَّلزَلَةِ

تقرير مصير الإنسان في الآخرة بناءً على عمله في الدنيا

قد تبدو الحقائق أحياناً بسـيطة سهلة يسـيرة، لكنه على الرغم مـن ذلك تبقى حقائق كبرى، يتقـرر من خلالها مصير الإنسان وجزاؤه...

وهكذا هو الأمر هنا في سورة الزلزلة؛ جاءت تُزلزل القلوب وتهزّها هزّاً، لتقف معها أمام حقيقة قد تبدو من شدة وضوحها أنها سـهلة يسيرة... لكنها في الحقيقة حقائق كبرى فاصلة في حياة الإنسان...

السورة تخبرنا بأنّ هناك آخرة، وهناك يُبعث الناس ويقومون لرب العالمين.

والسـورة تخبرنا بأنّ الناس إذ يُبعثون، فإنّ ذلك للمحاسبة

على ما سبق من أعمالهم في الدنيا.

كل ذلك قد يكون أمرًا واضحًا سبق تقريره في سورة القرآن الكريم مرات ومرات، لكن السـورة هنا في مكانها هذا، تأخذ بقلوبنا لتوقظنا من رقادنا، وتحركها لتحررها من غفلتها... وهي في كل هذه السـياقات تُقدّم لنا حقائق مهمة أساسية، نُقوّم بها أعمالنا وسلوكنا، ومن تلك الحقائق:

أولاً

التأكيد على أنّ كل أعمال الإنسان مسجّلة مكتوبة محفوظة محصيّة علـى صاحبها: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾.

ثانياً

التأكيـد على أنّ النـاس جميعاً سـيُبعثون ليعرفوا نتيجة أعمالهم ومواقفهم فـي الدنيا: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾﴾ وسيرون كل صغيرة أو كبيرة عملوها.

ثالثاً

بيـــان أنّ أعمال الإنســـان في الدنيا ســـتُحصى عليه، وأنه سيجد جزاءها وأثرها يوم القيامة؛ فمَن عمل خيرًا سيرى ويجد خيرًا: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾، ومَن عمل شرّاً فسيرى ويجد شرّاً: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾.

وهذا تأكيد على أمرين:

١. أنه سيجد كل ما عمله أمامه يوم القيامة مُسَجّلاً محصيًا.
٢. أنه ســيجد هذا الذي عمله مرتبطًا متناســبًا مع نوع جزائه الذي أعدّه اللهُ له.

ذلك هو كمال المراقبة، وكمال العدل، وكمال الإحسان، وإذكاء الأمل بحُسن الجزاء والخوف من سوء العاقبة.

سورة العاديات

أثر وضوح موقف الإنسان على قوة عمله وتحقق آثاره وثماره

لا تنشــغل بدلالات الآيات الأولى في السورة عمّا بعدها من الآيات التي جاءت جواباً على القسم، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾؛ فهذه هي الآيات التي تدور عليها السورة...

إنها آيات مرتبطة بعمل الإنســـان وســـلوكه ونظرته لمتاع الدنيا، فمَن كان تعلقه بالله تعالى، مؤمنًا به، فسوف يستقيم في أعماله وسلوكه.

ومَن كان جاحداً فضل ربّه، مُنكرًا خيره، فســوف ينحرف سلوكه، ويضلّ عمله.

إنها آيات تدور في فلك بيان قيمة العمل والسلوك، وضبط

تصور الإنســان لقيمة الحياة الدنيا، وقد بدأت الســورة آياتها وختمتها بما له صلة مباشرة بهذا السياق الواضح، وهذه القيمة المهمة فيها...

إنّ حال الإنسان وعمله واقع بين هاتين الصورتين: كنوده لربّه... وشدة حبّه للخير.

الصورة الأولى سلبية؛ وهي جحود الإنسان ونكرانه لربّه، والصورة الثانية إيجابية، وهي حب الإنســان للخير مطلقًا بكل أشكاله.

إذا تمهّد لك ذلك، فتعال بنا الآن لنبحث في دلالات تلك الألفاظ والتراكيب...

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾، ولعلك ما زلتَ تذكر الســور الســابقة المتناسقة في افتتاحيتها مع هذه السورة، وأنّ ســورة العاديات هي الأخيرة بين أخواتها الأربعة الأخرى (الصافات، الذاريات، المرسلات، النازعات).

ولعلك كذلك ما زلتَ تدرك ما حققته كل سـورة من هذه السـور في افتتاحياتها، والأقسـام الواردة فيهـا، وهنا تكتمل الصورة في هذه السورة الأخيرة بين تلك الصور جميعها.

فما زلنا نُشير إلى أنّ هذه التي أقسم الله بها، إنما تدل على موصوفات يُحدّدها السياق بقوة...

وإنّ لهذا القسم صلة مباشرة بعمل الإنسان، وتوجيه طاقاته نحو أداء دوره وواجبه وعمله في الدنيا...

قد تقرأ كلاماً كثيراً في كتب التفسير، يبين لك الموصوف المقصود بهذه الأوصاف، لكن السـياق غالبًا هو ما يحاصرنا ويوجهنـا لتلك (النفس الإنسـانية)، إنها هي التـي يرتبط بها محـددات حياة الإنسـان؛ الإيمـان، والأعمال، والسـلوك الأخلاقي.

لنعد من جديد نقرأ هذه الآيات... ولنستشـعر فيها نفوسنا وهي تصفنا، وتصف أعمالنا وأثارها...

انظر إلى تلك الحركة النشـيطة التي تُبادرها نفسـك بكل

همّة ونشاط ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ①﴾.

وانظر إلى تلك الدافعية الناصعة الواضحة التي تقدح في نفسك لتذكي أداءك وعملك ﴿فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ②﴾.

وانظر إلى تلك الحركة المبادرة المبكرة التي تشهدها نفسك ﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ③﴾.

ثم انظر إلى تلك الآثار المحركة لكل أنواع العمل وأشكاله، للفت الانتباه، وكثرة حديث الناس عنهم، ورفع صوتهم به ﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ④﴾، وذلك لقوة تمكنه وفعالية أثره.

ثم انظر إلى تلك الآثار المعتدلة المتوازنة، التي تحقق لك المكانة بين الجموع الحضارية بلا إفراط ولا تفريط ﴿فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ⑤﴾، وهكذا تكون الأمة الوسط.

وتعاجل بك السورة في وقعها السريع، لتختم معك بما يوقظ النفوس والهمم، وتضعك أمام الحقيقة في كونك مكلفاً، لتقول لك: إنك مُحاسَب على كل أعمالك ودوافعك ونوازعك، ولا شك أنّ هذه الحقائق، وتلك المعرفة ترفعك

وتدفعك لإجـادة عملك وإتقانه والإخلاص فيه، يقول تعالى:

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي
ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾.

سُورَةُ القَارِعَةِ

علم الإنسان بموازين الآخرة وإيمانه بها يدعوه
إلى ضبط عمله وإتقانه

﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ
۝٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ
ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥﴾.

القارعة اسم من أسماء يوم القيامة، وفي ذلك اليوم ستتلاشى موازين الدنيا، وستظهر موازين الآخرة، موازين الحق والعدل، هناك حيث حساب الإنسان على العمل الذي قدّمه في الدنيا، يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي
عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ
۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾.

هكذا بكل وضوح ويُسر، توصل لنا سورة القارعة تلك

الحقيقة الأساسية، لكنها حقيقة في غاية الأهمية، لذلك فهي واضحة ويسيرة، ولأنها كذلك فإننا نحتاج أن نقرع بها أسماعنا وأفهامنا في كل لحظة...

لا تنشغل بهول ذلك اليوم وأحداثه... إنك إن شغلت نفسك ونبّهتها في كل مرة بتلك القارعة...وأخذت تُردد.. القارعة... ما القارعة... وما أدراك ما القارعة... حينها ستكون مستعدًا للحظة الميزان؛ حيث يُوزَن إيمانك، وتُوزَن أعمالك...

إنّ السورة تضعك أمام الميزان في الدنيا، قبل أن تتفاجأ به في الآخرة، وذلك لتكون مستعداً...

إنّ ميزان الآخرة بين كفّتين؛ كفّة تثقل بما فيها من أعمال البِر والخير، أو كفّة تخفّ بذلك.... وأنت وحدك المكلف أيّ الكفتين تملأ...

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

التحذير من قوة التكاثر السلبية
التي تُلهي الإنسان عن أمر الله

الإنسان مُحِبّ للتكاثر في كل شيء... وإذا تعلّق الأمر بما هو مُحبّب إليه من المال، والجاه، والسلطان، والأبناء، والخير، وكل ما تحبّه النفس وتتمنّاه، فلك أن تتخيّل حجم ما سيحرص على القيام به لتحقيق الكثرة في هذه الأشياء!!!

وسورة التكاثر تُحذّرنا من أخطر ما يُواجهنا في حياتنا، ألا وهو: قوة الإلهاء، تلك القوة السلبية التي تؤثر في ضبط موازيننا، وإتقان أعمالنا، يقول تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ
زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾
كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ
ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾

والســـورة تُفاجئنا بإخبارنا بهذه الحقيقـــة وكأنها تحققت وحصلـــت... (ألهاكـــم التكاثر)... ليـــس أنه يلهينـــا، أو أنه سيلهينا... بل ألهانا وانتهى...

وإذا كان الأمر كذلك فما العمل؟

أظنّ أنه لا يزال أمامنا فرصة...

الفرصة تبدأ الآن... تبدأ في هذه اللحظة، وتستمر إلى أن تموت فتُدفن في المقابر.

يا إلهي!! كم هي سريعة وخاطفة إذا غفلنا عنها.

إنّ التكاثـــر في كل شـــيء، إذا ألهى الإنســـان عن واجبه في العمل، والاســـتعداد للآخرة، فإنه يشكل قوة سلبية، تسوق الإنسان إلى الخسران، ولسوف يُسأل عن هذا الخير الذي التهى به سؤال العذاب، لأنه فرّط في جنب الله، ولم يستثمر نعمه في طاعته سبحانه: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾.

سُورَةُ العَصْرِ

بيان منهج القرآن في تحقيق نجاة الإنسان من الخسران بالإيمان وعمل الصالحات

هو كذلك منهج القرآن... القرآن كلّه.

القرآن الذي أراده الله ليبني الإنسان نفسه وفق أحكامه وتوجيهاته، فيحقق النجاة في الدنيا والآخرة... والإنسان في حياته إما نجاة وإما خسران...

وإنّ النجاة كل النجاة مع القرآن، وإنّ الخسارة كل الخسارة بالبُعد عن القرآن.

تبدأ هذه السورة بالقَسَم بالعصر الذي يصحّ أن يكون آخر ما تبقّى لك من يومك، أو أن يكون مطلق زمنك وعمرك... تبدأ بهذا القسم، مشيرة إلى أهمية الوقت في حياتك، لتؤكد لك أن

تستغل ولو آخر لحظة فيه، لتنجو وتُحقق البراءة من الخسران.

تؤكد السـورة حقيقة مطلقة وهي أنّ الإنسان في خسران، محاط بكل أنواعـه وظروفه، وبكل ما يوصل إليه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾؛ فكل زمن يعيشـه الإنسان يحمل له أسباب الخسران.

لكنها لا تتركنـا دون أن تضع لنا منهجًـا عمليًا يحقق لنا النجاة من الخسران، وهو منهج دقيق واضح منضبط مختصر، لا لبـس فيه ولا غموض، ولا تطويل فيه ولا تعريج... إنه ذاته منهج القرآن الذي قرره فـي كل مواطن خطابه وكل توجيهاته يقول تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

إنه منهج يقوم على:

١. الإيمان بالله تعالى، تلك الحقيقة الكبرى للقرآن.
٢. والعمل الصالح، ذلك المنهج العام الشامل في القرآن.
٣. والتواصي بالحـق والتناصح به، بحثًا عنه، وتمسّـكًا به،

ودعوة إليه.

٤. التواصي بالصبر ثباتاً واستقامة على طاعة الله ومنهجه، وفي وجه كلّ التحديات التي تترصده.

نعم، هذه المقومات التي تمثل المنهج القرآني الكلي في تحقيق نجاة الإنسان فردًا وجماعة، في الدنيا والآخرة...

وحينها يمكننا أن نفهم لماذا قيل في هذه السورة: «لو تدبّر الناسُ هذه السورة لوسعتهم».

سُورَةُ الهُمَزَةِ

> التحذير من المعيقات التي تُثبّط الإنسان وتحبطه عن العمل، وتحطم إرادته

تُهدّد هذه السورة أولئك الذين يهمزون ويلمزون الناس فيبثون فيهم الطاقات السلبية، ويُعيقونهم عن العمل والبذل والعطاء: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾

ستقرأ كلاماً مطولاً ومتفنناً عند علمائنا، إذا أردت أن تبحث عن الهمز واللمز، أو عن العلاقة بين اللفظين والفرق بينهما... لكنك مع ذلك ستبقى أمام حقيقة واضحة، أنّ المعاني جميعها تدور حول معنى سلبي، يعكس نفسية إنسان مشحون بالسلبية، يقلب نفسه في حالاتها بين همز ولمز... وأنت الآن تحسّ بهذا المعنى دون أن تحتاج أحدًا يشرحه لك.

والسورة تبدأ بتهديد أولئك الذين يهمزون ويلمزون

وتتوعّدهم بالعذاب، فالأمر لم يقع من أحدهم مرة أو مرتين... إنما حالـه الدائم الهمز واللمز، فهو بذلـك يلقب أنه (همزة) (لمزة).

إلا أنـك تحتاج أن تعـرف أنّ أثر همز هـؤلاء ولمزهم، يقع على أشـخاص آخرين، قد يكونون أنبيـاء، علماء، دعاة، أشخاص عاديين، أشـخاص ناجحين... فالنتيجة سيكون له أثره على هؤلاء، نعم سيكون له أثره السلبي في تثبيط طاقاتهم، وإعاقتهم عن العمل والبذل والعطاء، بل والوقوف في وجه كل نجاحاتههم...

والسورة تُشـير إلى حال مَن يقوم بهذا الأمر المعيق، فهو مُعتـد بماله الذي جمعـه، وجهده الذي بذلـه، ظانّاً أنّ ذلك سـيُخلده أو يُنجيه من عذاب الله تعالى، إنه الإنسـان الكنود المتغافـل عن أمر الله وعظيم شـأنه وتدبيره، قد يكون ناجحاً في مشـروعه الخاص كما يعتقد، لكنـه لا يريد لأحد غيره أن ينجح، يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾.

إنّ الأمـــر ليس كلمة يقولها «الهمّاز اللمّاز» فيكســـب بها إثماً... إنما يتعدّى الأمر إلى مقاومة أيّ نجاح مهما كان، ليقوم هؤلاء الهمّـــازون واللمّازون بوضع كل العراقيل أمام أصحاب المشاريع، ليمنعوا تقدّمهم ونجاحهم...

لقد كانوا كثيرين أولئك الذين همزوا الرســـول الكريم ﷺ ولمزوه، يريدون تحجيـــم دعوته، وعرقلة عمله وجهده.. لكنّ الله تعالى أفشل مخططاتهم وقطع دابرهم.

وقد هدّد الله تعالى أولئك بالنبـــذ في النار لأنهم ينبذون غيرهـــم، وبيّن أنهـــا تحطمهم في الآخرة كما كانـــوا في الدنيا يحطمون غيرهم ويحاولون عرقلتهم، وما أكثر أمثال هؤلاء في مجتمعاتنا اليوم..

سُورَةُ الفِيلِ

طمأنة المؤمنين بتأييد الله لهم ودفاعه عنهم والانتقام من عدوهم

تُذكّرنا السـورة الكريمة بحادثة تاريخية سـجّلها التاريخ، حيث محاولة أبرهة الأشـرم هدم الكعبة وتحويل الناس عنها، كأنّ السورة تؤكد حقيقة قرآنية جرت في كل قصصه، لتلخصها لنا في أقرب قصة حدثـت قبل نزول القرآن... تلكم هي عاقبة مَن يصدّ عن دين الله وسـبيله، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾.

إنّ اسـتهداف الإسـلام والتآمر عليه في كل زمان، حقيقة قرآنية أخبر عنها ربنا تبـارك وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ

﴿بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝٨﴾ الصف:٨، وهـــذا التآمر لا يأخذ شـــكلاً واحدًا، بل هو تآمــر على القرآن الكريم، وعلى الرســول ﷺ، وعلى أحكام الإســلام، وعلى تاريخ المسلمين، وعلى علماء الإسلام ودعاته، وعلى شعوبه، وعلى موطن الإسلام وأرضه، وهذا تحديدًا نوع الاعتداء الذي أشارت إليه السورة الكريمة.

وفي الحادثة التي تكلمت عنها السورة، إشارة إلى أنّ الله بالمرصاد لكل مَن يتآمر على الإسلام في أيّ زمان ومكان، وفي أيّ شأن من شـــؤونه، وإذا كان الأمر كذلك، فإن هذا لا يعفينا من مســـؤولية فضح مؤامراتهم، أوالعمل على مقاومة أفعالهم، والاجتهـــاد في العمل لهـــذا الدين وخدمتـــه، وإعلاء كلمته، لتكـــون هي العليـــا: ﴿ذَٰلِكَ ۛ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ محمد: ٤.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

التنبيه إلى أهمية استقرار المجتمعات وتحقق أمنها وأمانها بالإيمان والطاعة

عرفنا فيما ألمحت إليه سورة الفيل أهمية الموطن والأرض لأصحابها، وتزداد تلك الأهمية إذا تعلقت بها مبادئ وقيم تمثلها تلك المواطن...

وفي هذه السورة يبين لنا ربنا تبارك وتعالى أهمية الاستقرار في تلك المواطن والبلدان، والسبيل لتحقيق ذلك والمحافظة عليه.

يمتنُّ اللهُ تعالى في هذه السورة على قريش بما أنعم عليهم به في موطنهم من الأمن والاستقرار، وقد كان موطنهم محلاًّ لدعوة إبراهيم أبي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فحمى اللهُ مكة وحفظها، ويسَّر لها أسباب الأمن والاستقرار، فإن حافظ أهلُها على إيمانهم بالله وعبادته حفظ الله لهم أمنهم ذلك.

فما أحوجهم إلى أن يحفظوا هذا الفهم القرآني الذي يقدمه لهم، فليس الأمن والأمان بألفــة التجارة أو النعيم أو الازدهار التجاري والتقدم العمراني، إنما هو بعبادة الله تعالى وإخلاص التوجّه إليه.

واليوم وقــد جاءتكم دعوة محمد ﷺ، فلتسـلموا أمركم فيها لله شكراً على نعمائه، واعترافاً بفضله وامتنانه، فذلك هو سببب الأمن والأمان.

إنّ الإنســانية اليوم محتاجة أن تعرف أنّ مصدر الاستقرار، وتحقيــق الأمــن الاجتماعي والغذائــي، وكلَّ أنــواع الأمن، لا يتحقــق إلا بالإيمــان بالله تعالــى، وأنّ أســاس ما تذوقه المجتمعــات اليوم، مــن الجوع والخوف والفرقة والتشــتّت والضعف، إنما هو بكفران نِعَم الله، وقد رسّخ لنا القرآن الكريم هذه الحقيقة في أكثر من مرة، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ النحل:١١٢.

سُورَةُ المَاعُونِ

الدعوة إلى التديّن السليم بفهم حقيقة الدين، والتحذير من تكذيبه بأعمال تناقض حقيقته

سيبقى الماعون دالة المائدة عند الناس إلى يوم الدين... لكن السؤال الذي يقوم في عقولنا، ويطرقها بقوة، هو عن العلاقة بين تكذيب الدين الذي بدأت السورة بالحديث عنه، ومنع الماعون الذي اختتمت السورة في الحديث عنه؟!

لعل هذه السورة الكريمة تحمل لنا بيانًا واضحًا محددًا، تؤكد فيه حقيقة هذا الدين، وحقيقة التديّن عند المسلم، فإنّ ما ذكرته السورة من أعمال إنما تمثل شكل الالتزام، وهو أمر مرتبط بالتديّن، وهي تبيّن لنا موقف المسلم في فهمه الواضح لحقيقة الإسلام، أو غياب هذا الفهم وتشوّه حقيقته.

إنّ المعادلة التي يعيشها الإنسان تقع بين طرفين: التصديق

بالدين، أو التكذيب بالدين....

وهي لا تتشـكل من حجم الأفكار التي يحملها، ولا في حسـن التعبير عنها، وفلسـفة وضعها في كلمـات لا تجاوز التراقي...

إنّ السورة الكريمة تبيّن لنا أنّ التديّن ليس بمجرد كلمات نردّدها أو بشعائر نؤديها، أو بحقائق معرفية نفهمها وندعو لها.

إنما يظهر التديّن حقيقة في فهم حقيقة الدين، وفي الالتزام بـه، وفي أثر تلك الحقائق والشـعائر على أخلاقنا وسـلوكنا وأعمالنـا في علاقتنا بمن حولنا... إنه أن نفهم أن الدين تنظيم لعلاقة كل واحد بنفسه، ولعلاقته بمن حوله، وأن نفهم أنّ أسس هذه العلاقات، هو ضبط ما بينك وبين نفسك، وما بينك وبين الآخرين وفق منهج الله تعالى..

من هنا؛ فإننا نعد مقدار تحقيقنا لهذه العلاقات في حياتنا الاجتماعية، الصورة الأوضـح والأصدق لحقيقة فهمنا الدين والتدين والالتزام.

والسورة تعالج مفهوم التدين الخاطئ من خلال ذكر أخطر أشكاله وممارساته في جانب العلاقات الاجتماعية، وتضعنا أمام بعض الأعمال التي قد تبدو هينة أو يسيرة، لكن الوقوع فيها تفريط في الدين.

فهي تضعنا أمام صورتين:

الصورة الأولى

تلك التي تهمل الجانب الاجتماعي في هذا الدين ولا توليه أيّ اهتمام، فتهمل اليتيم وتضيع حقوقه، وتغفل قيمة التكافل الاجتماعي، وتغيب دوره في الحث على أداء المسؤولية الاجتماعية ورعاية المحتاجين.

الصورة الثانية

الغفلة عن حقيقة العبادات في هذا الدين والسهو عن أثرها الاجتماعي والمجتمعي، والاهتمام بأداء العبادات لذاتها، دون تلمس حكمها وانعكاساتها.

ولعل الصلاة أبرز ما يظهر فيها صدق التدين؛ إذ إننا

مطالبــون فيها بالانتقال مــن محراب المســجد إلى محراب الحياة... وإلا فما قيمتها؟!

ما قيمة الصلاة إذا سهونا عن أثرها في حياتنا؟!

مــا قيمة الصلاة إذا لم تعالج في نفوســنا التدين الزائف، والرياء المقيــت، والمباهاة بالأعمال والمواقف، التي ظاهرها خير، لكن بواطنها شر وسوء؟!

ما قيمة الصلاة إذا منعنا الخير والعطاء عن الناس أجمعين، وانعزلنا بأنفسنا عن حاجة الناس للخير والهداية والعون؟!

سُورَةُ الكَوْثَرِ

عطاء الله لك، يمنحك الإيجابية للعمل، والثقة بموعوده سبحانه لك باستمرار فعلك ووجودك

شـأن هذه السورة عجيب، فلا أظنّ مسلماً لا يحفظها كما يحفظ الفاتحـة، ولا أظنّ أنه يغيب عن بال أحـد قِصَر آياتها وعدد كلماتهـا، وأنّ العلماء إذا أرادوا أن يسـوقوا مثلاً لبيان ثبـوت الإعجاز في أقلّ قدر من سـور القـرآن الكريم، فإنهم يذكرون هذه السورة...

ثـم تجدها -رغم إيجازها- تُحدّثك عن (الكوثر) التي هي أكثر لفظة في القرآن دالة على الكثرة...

وإذا كانت سـورة (التكاثر) قد حدّثتنا من قبل عن التكثير في كل شيء، حتى عطّل ذلك الفعلُ الإنسانَ عن دوره ومكانته، فإنّ هذه السـورة تُحدّثنا عن (التكوثر) الذي هو الاستزادة من

الخيـر الدافع للقيام بالـدور الواجب... وتلكـم هي طاقاتنا الإيجابية...

تُحدّثنا هذه السورة عن أعظم عطاءات الله تعالى لرسوله الكريـم ﷺ والذي تعدّى نفعها لكل الناس، وحصلها كل مَن أسلم وجهه لله تعالى...

وهل هناك أعظم خيرًا من الهداية للإيمان؟

إنّ ذلـك هو جماع النعم في الدنيـا والآخر... وذلك هو الكوثر، أي الخير الكثير...

يمتـنّ اللهُ تعالى على رسـوله ﷺ بهـذا العطاء العظيم، ثم يطلب منه شـكر هذا الخير العظيـم، فيقول له: صَلِّ لربّك وانحر... ثم يُطمئنه ويقول له: إن شانئك هو الأبتر.

والسورة تُقدّم لنا حقائق عظيمة أكيدة، منها:

١. أنّ أعظم عطاء للإنسـان هو الهداية، فهو جماع الاستقامة والثبات.
٢. وأنّ أعظم المطلوبـات أن يحقق معنى الصلاة في حياته،

فهي جماع صلاح الأعمال.

٣. وأنّ أعظم عبــادة، تلكم التي يبذل فيها الإنســان ويقدم الخير والنفع للناس، وذلك جماع العبادة الاجتماعية.

٤. وأنّ أعظم بشــارة تطمئنك وتؤملك، وتثــق فيها بموعود اللــه تعالى، هي وعده لك بأنّ عملــك متمكن، وأنّ أثره سـيتحقق في الدنيا والآخرة، وأنّ دعوتك ســتنتصر، وأنّ أعداءك إلى زوال وكيدهم إلى تباب، ومكرهم إلى نقصان ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾.

سورة الكافرون

الدعوة إلى تأكيد حرية الإنسان في اختياره، وأثر وضوح تصورات المسلم على ثباته في إيمانه ومواقفه

تسير مع آيات السورة بين خطاب فريقين؛ فريق مؤمن، وفريق كافر، وبين عبادتين؛ عبادة الكافرين وعبادة المؤمنين لتضعك السورة أمام قضيتها المحورية؛ وهي: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ قد نفهم من الآية أنّ ديننا مختلف؛ فأنا لا أؤمن بدينكم، كما أنكم لا تؤمنون بديني...

وقد نفهم منها أنه لا التقاء بيننا في أمر الدين، فدينكم ليس ديني، وديني ليس دينكم...

وقد نفهم منها أنّ لكل واحد منّا حريته في اختيار دينه، فأنا لم ألزمكم بترك دينكم واتباع ديني، وعليكم أن لا تلزموني بترك ديني واتباع دينكم...

المهم أن تصلكم هذه الحقائق لتعلموا أنّ التصور واضح عندنا تماماً... فالمسألة إذاً مسألة كفر وإيمان، فلا مجاملة ولا مواربة...

والمسألة واضحة وراسخة الآن... وواضحة وراسخة من قبل... وستبقى كذلك واضحة وراسخة في المستقبل...

امضوا في طريقكـــم، واختاروا معبودكم وعبادتكم، فأنتم مَن سيتحمل تبعة اختياركم وضلالكم وكفركم... وسأمضي أنا في طريقي، وقد اخترت معبودي وعبادتي، ولقد وضحت لكم وبيّنت ما يحتاج إلى توضيح وبيـــان، فإن اخترتم طريق الحق فمرحبًا، وإن بقيتكم على كفركم فلســتُ عليكم بمصيطر ولا بوكيل، ولكن عليّ حق الإبرار والإقســاط ما لم تقفوا في وجه ديني وعبادتي... وإلا فقد اخترتم المواجهة وســنكون في أتم الاستعداد لها.

سُورَةُ النَّصرِ

عاقبة ثبات المؤمن واستقامة سلوكه هي النصر والتمكين

سورة النصر هي آخر سورة نزلت بتمامها من القرآن الكريم، ولعل في موضوعها ما يتناسب تماماً مع أن تكون آخر ما نزل على رسول الله ﷺ تُبشّره بالنصر، وتؤكد له ثمرة جهده وبذله في الدعوة لهذا الدين، والعمل لخدمته.

والسورة تؤكد أنّ عاقبة إيمان المؤمنين وعملهم، هو النصر والفتح والتمكين، مهما طال ذلك أو تأخّر وقته في ظاهر ما يحسبون أو يتصورون.

ولكن لا تنسَ أيها المسلم في غمرة انتصاراتك، ونشوة فتوحاتك، وإقبال الناس عليك... لا تنسَ تواضعك لله، وخضوعك له، وإقبالك عليه، ونسبة الفضل له... ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾.

ولا تنسَ ذنوبك، ولا تغفل عن أخطائك وزلاتك، فيعظم أثرها في واقع حياتك، فتهلك، وتدمر إنجازاتك، بل بادر للتوبة والأوبة: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾.

وإذا نسـيت... فلا تنسَ فضل الله عليك، فهو مَن منحك النصر والتأييد لدينه، لكنه -من فضله- جعله على يديك.

سورة المسد

الثقة بالتمكين لهذا الدين مهما كانت جهود أعدائه في الصد عنه، فإنّ أعمالهم إلى هباء

﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا
كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ
ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۢ ٥﴾.

ليس من شــأن القرآن وغايته الوقوف مع أشخاص معينين ليشهّر بهم، أو يتحدث عن مواقفهم الخاصة، لكنك إذا وجدت الأمر يتعدى الشــخص الواحد إلى أشــخاص، وإذا وجدت الموقف يتعدى إلى مواقف، فحينها ســتجد القرآن يرصد لك ذلك ويوضحه ويبينه...

وكيف ســيكون الأمر إذا وصلت تلك المواقف أن تكون منهجيــة عامة في مواجهة الحق، والوقــوف في وجه الإيمان وأصحابه؟!

سيبقى القرآن يذكرنا في غير مرة، أنّ هذا الدين مستهدف، وأنّ أعداءه يتربصون به، ويتآمرون عليه...

وسيبقى يذكرنا دائمًا بأنّ كيد هؤلاء إلى تباب وثبور، وأنّ الغلبة ستكون لهذا الدين وأصحابه، متى صدقوا وثابروا وعملوا...

وهنا سورة المسد تقدم لنا هذه الحقيقة العظيمة في كلمات معدودة، ومن خلال توظيف حادثة مشهورة....

لكن القرآن -وإن ذكر لنا شخصًا في هذه الحادثة- إلا أنه يتجاوز فكرة الشخص إلى الموقف، ويتجاوز فيها الزمان والمكان، ليقول لنا: هلكت كلّ محاولات الصدّ عن دين الله، وخاب أصحابها، سواء أكانوا أفراداً، أم كانوا أسرًا أزواجًا وزوجات، أم كانوا مؤسسات، أم كانوا هيئات، أم كانوا دولاً وجماعات... أم أيّاً كانوا...

نعم سيوظفون أموالهم وجاههم وسلطانهم، وسيستغلون تقدّمهم المادي، وعلومهم التي كسبوها... لكنها لن تُغني عنهم من الله شيئًا...

نعم سـيلجأون إلى وسـائل كثيرة يصدّون فيها عن دين الله، سيشككون في القرآن... سيشككون في حقائق الدين... سيشككون في العلماء والدعاء... سيصنعون علماء يشوّهون بهم الإسلام... سـيوظفون الأموال لإقامة فضائيات ومنصّات إعلامية للصدّ عن دين الله...

لكـن اطمئن أيها المؤمـن؛ فكل ذلك يخيـب ويبور... نعم... تبّ وتبّ...تبّت يدا أبي لهب وتبّ...

نعـم؛ لقد علمنا في خاتمة دعوة رسـولنا الكريم ﷺ أين كان حال الإسـلام والمسـلمين، وأين كان حال الكافرين.... علمنا مَن الذي تبّ، ومَن الذي له الأمر استتبّ...

سورة الإخلاص

الدعوة إلى إخلاص المؤمن في صحة تصوّره وصدق توجهه النابع من حقيقة الإيمان بالله تعالى

الأســـاس في هذا الدين هو معرفة الله تعالى، ولا يتحقق الإيمان إلا بإثبات وجوده ســـبحانه وتعالى، وبتوحيده وتنزيهه عن الشـــريك، وفي ذلك -لا شك- ردّ على كل الملل السابقة، التي حادت وانحرفت عن منهج الصراط المستقيم...

الإيمان هو الأســـاس، وهو المنطلق المحرك للإنسان في أعماله وسلوكه...

وقناعات الإنسان التي يحملها وتجسدها أفكاره وتصوراته، هي التي تتحكم فيه وتوجهه في أعماله وأفعاله...

ولئـــن كانت حقيقـــة الإيمان الصادق، هـــو الإيمان بالله

تعالـــى، فتلكم هي أعظـــم دوافع العمل الصالـــح، الموصل لمرضات الله تعالى ونعيمه...

وهنا ســـورة (قل هو الله أحد) أو سورة (الصمد) أو سورة (الإخلاص).

جاءت ســـورة الاخلاص، لتحقق عند الإنســـان حســـن التصور الإيماني، ولتـــزرع عنده صدق التوجه إلى الله تعالى، وإنّ من شأن ذلك تفعيل قدرة الإنســـان على القيام بواجباته، وتحقيق ثمرة أعماله.

ولفظ الإخلاص، وإن لم يرد في السورة، إلا أنّ معناه يشيع فيها كلّها، فإنّ معرفتنا بالله تعالى حق المعرفة، وحسن تصورنا عنه، يدفعنا لإخـــلاص التوجه إليه، والاعتماد عليه ســـبحانه وحده.

إنّ القيمـــة التي تحققها ســـورة الإخلاص، هي أســـاس الإسلام، وهي أساس دعوة القرآن الكريم التي تؤسس المسلم على عقيدة الإيمان بالله تعالـــى وتوحيده، لتحثه على العمل

الصالح والعبادة الصادقة، ولعل هــذا يفهمنا كيف أنها تعدل ثلث القرآن.

إنها تعلمنا أن نقول ما نؤمن به ونصدّقه...

أن نقول مُوقنين: اللهُ أحد؛ فلا نظير له، ولا ندّ له...

وأن نقول واثقين: هو الذي تحتاجه الخلائق جميعها ولا يحتاجها...

وأن نقول صادقين: هــو المنزّه عن كل عيب ونقص؛ فلم تكن له صاحبة ولم يكن له ولد... سبحانه...

وأن نقول معتقدين: إنه لا مثيل له ســبحانه، فهو المتفرد بالكمال...

هذا هو نســب الإيمان الذي ننتسب إليه، وهذا هو نسب ربنا الذي أخبرنا به سبحانه، وهو ما يمثل هوية المسلم وبطاقة تعريفه الخاصة به...

سُورَةُ الفَلَقِ

الدعوة إلى الحذر من المُعيقات التي تصدّ الإنسان عن مشروعه الإيماني الهدائي، وتمنعه عن مشروع العمل لديه

وهنا سـورة أخرى تعلمنـا ماذا يجب أن نقـول... وهي تحديدًا تعلمنا أن نستعيذ...

مرّ بنا ونحن نقرأ القرآن الكريم، أنّ الله أمرنا أن نستعيذ به سبحانه من الشيطان الرجيم، فهو رأس الشرور كلها...

وهنا تعلمنا السورة أن نستعيذ بالله من شرور أيضًا...

لكنّ من المهم أيضًا، أن نعرف مَن الذي نستعيذ به...

إنه الله...هو ربّ (الفلق)، أي ربّ كلّ ما ينبثق عنه الخلق والوجود، فهو خالقها، ومالكها، والمتصرف بها... ذلك لنتنبه أنّ كلّ هـذا الخلق والوجود، إنما هو بيده سـبحانه... ولنعلم

أنّ في هذا الوجود أشياء وأشــياء كثيرة، لا يمكن حصرها ولا عدّها، ولا معرفة خيرها ولا شرّها، ولا يستطيع ذلك ولا يعلمه أحد إلا الله سبحانه...

تعلمنــا الســورة أن نتنبه لهذه الشــرور، وأن نعتصم بالله تعالى ونلجأ إليه منها...

إنها شرور متعددة، تفرض علينا المواجهة معها في طريق عملنا وتقدمنا وعبادتنا ونهضتنا، وهي شرور تعرقلنا في حقيقة الأمر عن تمكّننا وعطائنا، وتؤثر فينا سلبًا... إنها أمور إذا نظرنا إليها فســنجدها أعداء نجاحنا وتقدمنا... وهي شرور تأتينا من حولنا لا من دواخلنا الخاصة بنا...

أول هذه الشرور: شرّ عام قد لا نحدده ولا نعرف نوعه... لكنّه شــرّ موجود صادر عن مخلوق مــن مخلوقات الله، قد يكون من أقرب الناس إلينا، أو ممن لا نعرفه أو نتوقعه: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾.

وثاني هذه الشرور: قد يأتينا من جهة لا نعرفها، مخفية عنّا

ومجهولة، قد يُحاك لنا فيها الشرّ في الظلمة... لكنه سينكشف وسيظهر أثره وتأثيره ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾.

وثالثها شـــرّ قد يأتيك من أعداء النجـــاح، الذين يضعون أمامك العراقيل، ينفثون في كل عمل وجهد تقوم به، وفي كل أمر تعقده وتعزم عليه، فهم يخلخلونه ويفشـــلونه ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤﴾.

وآخر هذه الشـــرور، معيقات تأتيك من نفوس ضعفت... ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

هنا في هذه السورة، إشارات إلى كل ما يتجدد ويظهر في حياتك مما يمكن أن يُعيقك، فهو من الفلق... وتذكّر معه دائمًا أن تقول: أعوذ برب الفلق.

سُورَةُ النَّاسِ

الدعوة إلى الحذر من أعداء الإنسان الثلاثة، التي يدور بينه وبينها الصراع، والتي تعيقه عن مشروعه الإيماني الهدائي، وعن مشروع العمل لديه

تعجب وأنت تجيل فكرك في السورة التي اختارها الله لتكون خاتمة سور القرآن في ترتيبه الحكيم هذا...

تعجب من اسمها، وتعجب من موضوعها، وتعجب من كلماتها وألفاظها... كلها عجب يفتح عندك أبواب البحث في حكم هذا القرآن الحكيم...

هذه السورة أيضًا كما هي التي قبلها تعلمنا أن نقول... وتعلمنا أن نستعيذ...

تعلمنا أن نستعيذ بالله من شرور أيضاً...

أن نستعيذ بالله الذي هو رب الناس، وملك الناس، وإله

الناس... وهي بتكرار ذكر الناس، تشير لنا من البداية إلى ذاتنا ودواخلنا... تشير إلى الإنسان من حيث كونه إنساناً... وهي تضعه بعد هذا المشوار الطويل مع القرآن الكريم، وقد تعلم منه ما تعلم... تضعه أمام حقيقة الصراع الذي يعيشه في حياته مع رحلة الصراط المستقيم، هذه الرحلة التي اكتشف ملامحها ومعالمها...

لقد كان بدأ هذه الرحلة من الفاتحة، وهو الآن يختمها مع سورة الناس... بدأها بطلب الهداية، ويختمها بالعصمة من أعداء الهداية.

وهنا وقد تعلمت مَن هو ربك، ومَن هو ملكك، ومَن هو إلهك، فتوجّه إليه... والجأ إليه... واعتصم به من أعداء طريقك وصراطك المستقيم...

هنا تضعنا السورة في وعي على مَن هُم هؤلاء الأعداء...

أولاً

ذلك العدو اللدود... الشيطان، صاحب الوسوسة التي

أراد بها إضلال أبينا آدم، وإخراجه من نعيم الله تعالى.

ولذلك كان منهج القرآن في امتداده، يتحدث عن معالجة وساوس الشـيطان، والوعي على كيده، والحذر من خطواته، وضرورة الانتباه إليه، والالتجاء إلى الله، والاعتصام به سبحانه من كيده.

ثانياً

تلك النفس التي تسـتقبل الوسوسـة من جهة، ومن جهة أخرى فهي صاحبة التأثير على صاحبها.

هذه النفس التي لا نعرف عن مكمنها إلا أنها في صدورنا... لكن القرآن بصّرنا بتسوية الله لها بين الفجور والتقوى، وألزمنا طريقة تزكيتها لتحقيق الفلاح، وحذّرنا من تدسـيتها، وسلوك طريق الخيبة فيها.

ثالثاً

أولئك الشـياطين الذين هُم من نوع خاص، إنهم شياطين

الإنس... لكنهـم قطعاً يتعلمون من شـياطين الجن، فيوحي بعضهم إلى بعض زُخرف القول غُرورًا.

والقرآن أخبرنا كثيرًا عن الناس، وبيّن لنا أصنافهم، وحدّثنا عن أوصافهم وأعمالهم، وذكّرنا بتاريخهم، لنكون على بيّنة من أنفسنا...

حتـى أولئـك النـاس الذين تراهـم أمامـك يتحركون وينتقلـون... لكنهم يوسوسـون ويخنسـون... إنهم كذلك يشتغلون على نفسك ليضعفوها...فلتكن قويًا بإيمانك، عزيزاً بثقتك بربك...

أولئك هُم أعداء نجاحك، وأعداء مشروعك الإيماني... أولئك هُم الذين يواجهونك من داخلك...

وهكذا السورة الكريمة تختم لنا رحلتنا مع القرآن الكريم، لتصنع لنا هذا الوعي، وتمنحنا هذه القوة...

ولتقول لنا: إنـك لن تكون قوياً في معركـة الحق إلا إذا انتصرت على نفسك.

كلمة بعد بيان مقاصد السور وقيمها

لعلنا بعد محاولتنا توضيح معالم كل سـورة من سور هذا الجـزء وتكامل قيمها، وفق ما اجتهدنـا لنبينه؛ أن نحاول الآن اسـتثمار ذلك في بيان أثره على صناعة أنفسـنا، وتكوينها في جوانب شخصياتنا، في تصوراتنا وأفكارنا، وسلوكنا وأعمالنا...

وهذا يتطلب منّا قدرًا مـن الجهد في محاولة تجميع قيم هذه السور لتقديمها بشكل يعيننا على توظيفها في حياتنا.

وأريدك وقد قرأت ما سبق، أن تجمع معي ما تناثر من قيم ودلالات في هذا الجانب، لنجعلها في نقاط محددة منضبطة، يسهل علينا فهمها، وإدراكها، والتعامل معها.

وقد وجـدت بعد النظـر والتأمل، أنّ هذه القيم تشـكّل مراحل مهمة في بناء الإنسـان وتكوين حياته، وتفعيل وجوده، وقـد دفعني ذلك أن أسـميها «مراحل بناء الإنسـان ومفاتيح

تكوينه من خلال تكامل قيم السور» لعل ذلك يفيدنا في فهمها وربطها ببعضها...

وتعال بنا لنتحدث عن ذلك..

مراحل بناء الإنسان ومفاتيح تكوينه من خلال تكامل قيم السور

ما أقصده هنا بهذه المراحـــل والمفاتيح؛ هي في الحقيقة ما يمكن أن يشكّل المقومات الرئيسة التي تتصل ببناء شخصية الإنســـان في جانـــب تصوراتـــه، وقناعاته، وإدراكاتـــه لذاته، وتوظيف ذلك في تحقيق دوره ورسالته في الحياة، في مستوى من الوعي والانتباه لهذا الدور، والحذر من كل ما يعيقه ويشتته عن ذلك.

إننا نجد أنّ لقيم هذه الســـور، الأثر المباشـــر في تكوين الإنسان وبنائه وفق مراحل منضبطة، يمكننا تحديدها من خلال النظـــر والتأمل في هذه الســـور، من حيـــث موضوعاتها التي جمعناها ســـابقًا، ومن حيث تناسق تسلسلها، وتناسب ترتيبها في المصحف، ويمكننا تحديد هذه المراحل في ست مراحل، كل مرحلـــة تضم مجموعة من الســـور المتقاربـــة موضوعًا، والمتناسقة دلالة، وتقسيمها بهذا الشكل هي محاولة اجتهادية

قامت على تجميع دلالات السور وقيمها، وتوحيد هذه الدلالات في مجالات موضوعية، يسهّل علينا فهمها والتعامل معها.

ونحن لا يغيب عن بالنا أن الإنسان محتاج في بنائه نفسه وحياته ومجتمعه أن يحقق جملة أمور:

- **أولها:** ضبط توجهه وتحديد مصدر التلقي عنده.
- **ثانيها:** ضبط وعيه وانتباهه على نفسه وعمله ومعرفة ما يلزمه ليمكن نفسه ويثبت عمله، والانتباه لما يشتت جهده والحذر من ذلك.
- **ثالثها:** الحرص على بناء ذاته بناءً متكاملاً يتصل بجوانب شخصيته الإنسانية جميعها؛ المعرفية والنفسية والسلوكية، وذلك لتحقيق دوره ورسالته.

وفي ضوء هذا الوعي، يمكننا أن نحدد المراحل الستة التي نراها في تكوين الإنسان وبنائه، ويبقى كلامنا هنا جهدًا شخصيًا لإعادة تقريب المعاني وتجميعها، لا يعدو أن يكون محاولة من المحاولات، نسأل الله فيها التوفيق، ولها القبول...

وهذه المراحل الستة التي نراها في بناء الإنسان وتكوينه هي كالآتي:

- **المرحلة الأولى:** وتبدأ من صناعة التوجه عند الإنسان إلى دلالة عمله على نوع توجهه.
- **المرحلة الثانية:** وهي متصلة بتحديد نوع العمل، فتبدأ من ضبط الموازين عند الإنسان المتصلة بالعمل، إلى تحقيق أثر هذه الموازين وثمرتها.
- **المرحلة الثالثة:** وتبدأ من بناء قدرة الإنسان، إلى تمكينه من التصدي للتحديات.
- **المرحلة الرابعة:** وتبدأ من تقويم النفس الإنسانية وانضباطها، إلى تحقيق الإنجاز والنجاح في العمل والأداء.
- **المرحلة الخامسة:** وتبدأ من بناء الحذر من المعيقات التي تعيق صناعة الإنسان، إلى تحقيق فاعليته وأدائه.
- **المرحلة السادسة:** وتبدأ من إتقان صناعة الإنسان، إلى تحقيق القوة والغلبة للإنسان المؤمن.

وعلى ذلك فحدود هذه المراحل تشمل: توجه الإنسان/ عمل الإنسان، ونوعه، وموازينه، وأثره/ بناء قدرة الإنسان، وتقويم نفسه / الوعي والحذر من المعيقات والقدرة على التصدي للتحديات/ الإنجاز والنجاح وتحقيق الغلبة والتمكين.

وفي الجدول التالي نقدم لك توزيع كلّ سورة بحسب قيمتها وفق كل مرحلة من هذه المراحل

جدول يلخص مراحل بناء الإنسان ومفاتيح تكوينه وفق تكامل قيم السور:

مراحل بناء الإنسان	السورة	قيمة السورة المشكّلة لمراحل بناء الإنسان ومفاتيح تكوينه
من صناعة التوجه عند الإنسان إلى دلالة عمله على نوع توجهه	النبأ	توجيه الإنسان لضبط توجهه وتمكين حقيقة الإيمان وفاعليته في حياته من خلال ربطه بحقيقة الإيمان بالبعث
	النازعات	خصائص قوة عمل الإنسان التي ينزع بها مكانته الصالحة في الدنيا ويحقق بها دوره الإيجابي بدل طغيان النفس وسلبيتها
	عبس	حسن الدعوة إلى الله والنجاح فيها في التعامل مع الآخرين هو مفتاح النجاح في كل الأعمال
	التكوير	دعوة إلى الاستقامة في السلوك والعمل لأن هذه هو حقيقة ما سيبقى مع الإنسان يوم القيامة بعد أن تنقطع كل العلاقات، وسيواجه حينها ما أحضره
	الانفطار	شمول عمل الإنسان وتنوعه ليكون عنوان التصديق بالدين أو التكذيب به
من ضبط الموازين عند الإنسان المتصلة بالعمل إلى تحقيق التمكين	المطففين	ضبط موازين العمل والعاملين وأثر ذلك في سلوكهم وجزائهم
	الانشقاق	بيان دافعية الإنسان وباعثه للعمل فالمؤمن الذي يعمل الصالحات دافعه الإيمان، وأما الكفار المكذبون فدافعهم حب الدنيا وجمع ما فيها
	البروج	الثبات والاستقامة سبيل لرفع الدرجات
	الطارق	أهمية حفظ الله في تحقيق القوة والنصرة للمؤمنين
	الأعلى	منهج صناعة الإنسان الأعلى وبنائه الأمثل
	الغاشية	قيمة الإنسان ومكانته من خلال عمله الذي يتغشاه فيدل عليه في الدنيا والآخرة

مراحل بناء الإنسان	السورة	قيمة السورة المشكّلة لمراحل بناء الإنسان ومفاتيح تكوينه
من بناء قدرة الإنسان إلى تمكينه من التصدي للتحديات	الفجر	اليقين بأنّ العاقبة للمؤمنين المصدّقين يصنع التفاؤل والأمل والثقة التي تدفعك إلى العمل
	البلد	معرفة الإنسان بقدراته تمكنه من اختيار طريقه الصحيح في العمل والإنجاز وبناء مجتمعه وتجاوز العقبات
	الشمس	تسوية النفس واستعدادها للاختيار والعمل والتغيير، وبيان أنّ قوّتها في تزكيتها وتمكين علاقتها بالله، وأنّ خيبتها وخسارتها في بُعدها عن منهج الله
	الليل	ضبط اختلاف سعي الناس وتوجههم في أعمالهم وأنّ سعيهم متعدد متنوع
	الضحى	رعاية الله لك وتأييده ونصرته لك يمنحك الإيجابية ويخلصك من ضعفك ويدفعك للحركة والنشاط والفاعلية، وللعطاء بلا انقطاع
	الشرح	عطاء الله لك وتأييده دافع إيجابي للاستمرارية في العمل وضبط توجهك إليه في مقاصدك وأعمالك

مراحل بناء الإنسان	السورة	قيمة السورة المشكّلة لمراحل بناء الإنسان ومفاتيح تكوينه
من تقويم النفس الإنسانية وانضباطها إلى تحقيق الإنجاز والنجاح في العمل والأداء	التين	إحسان تقويم الإنسان في تصوراته وأعماله يتحقق بقوام هذا الدين وقيوميته
	العلق	تحقيق منهج حسن تعلق الإنســان بالله ومقاومة طغيان نفسه
	القدر	قدر الإنسان ومكانته يتحققان باتباعه للقرآن
	البيّنة	الحق يحتــاج إلى وضوح الحجّــة والبيّنة ليتّخذ الإنسان موقفه منه، فينفك عن القيم والسلوكيات السلبية ويتعلق بالقيم الإيجابية
	الزلزلة	تقرير مصير الإنسان في الآخرة بناء على عمله في الدنيا
	العاديات	أثر وضوح موقف الإنسان على قوة عمله وتحقق نتيجته
	القارعة	علم الإنســان بموازين الآخــرة وإيمانه بها تدعوه إلى ضبط عمله وإتقانه

قيمة السورة المشكّلة لمراحل بناء الإنسان ومفاتيح تكوينه	السورة	مراحل بناء الإنسان
التحذير من قوة التكاثر السلبية التي تُلهي الإنسان عن أمر الله	التكاثر	من بناء الحذر من المعيقات التي تعيق صناعة الإنسان إلى تمكين فاعليته وأدائه
بيان منهج القرآن في تحقيق نجاة الإنسان من الخسران بالإيمان وعمل الصالحات	العصر	
التحذير من المُعيقات التي تثبط الإنسان وتحبطه عن العمل وتحطم إرادته	الهمزة	
طمأنة المؤمنين بتأييد الله لهم ودفاعه عنهم والانتقام من عدوهم	الفيل	
التنويه إلى أهمية استقرار المجتمعات وتحقق أمنها وأمانها بالإيمان والطاعة	قريش	
الدعوة إلى التدين الصحيح السليم بفهم حقيقة الدين والتحذير من تكذيبه بأعمال تناقض حقيقته	الماعون	

مراحل بناء الإنسان	السورة	قيمة السورة المشكّلة لمراحل بناء الإنسان ومفاتيح تكوينه
من إتقان صناعة الإنسان على عين الله إلى تحقق القوة والغلبة للإنسان المؤمن	الكوثر	عطاء الله لـــك يمنحك الإيجابيـــة للعمل والثقة بموعوده سبحانه لك باستمرار فعلك ووجودك
	الكافرون	الدعوة إلى تأكيد حرية الإنســـان في اختياره، وأثر وضوح تصورات المســـلم على ثباتـــه في إيمانه ومواقفه
	النصر	عاقبة ثبات المؤمن واســـتقامة سلوكه هي النصر والتمكين
	المسد	الثقة بالتمكين لهذا الدين مهما كانت جهود أعدائه في الصد عنه فإنّ أعمالهم إلى هباء
	الإخلاص	الدعـــوة إلى إخلاص المؤمـــن في صحة تصوره وصدق توجهه النابع من حقيقة الإيمان بالله تعالى
	الفلق	الدعـــوة إلى الحـــذر مـــن المُعيقات التـــي تصدّ الإنســـان وتمنعه عن مشروعه الإيماني الهدائي، وعن مشروع العمل لديه
	الناس	الدعـــوة إلى الحذر من أعداء الـــصراع الثلاثة مع الإنسان، والتي تعيق المسلم عن مشروعه الإيماني الهدائي، وعن مشروع العمل لديه

لعل هذا الجدول يُعينك عزيزي القارئ في ضبط تصورك لكل سـورة من سـور هذا الجزء، ثم هو يعينك -وفق ما ذكرنا لك من مراحل في تكوين الإنسان- على أن تستجمع ارتباطات هذه السور بعضها ببعض، ويزيد ذلك توضيحًا وبيانًا أن نفصّل لك في كل مرحلة من هذه المراحل ارتباطات دلالات السـور وقيمهـا لنبين كيف أنها تحقق -فيما نرى- مقصدها الرئيسـي الكلي وهو «بناء الإنسان وإعداده».

وإليك تفصيل هذه المراحل وفق قيم سـورها التي تبنيها وتوضحها:

المرحلة الأولى

من صناعة التوجه عند الإنسان إلى دلالة عمله على نوع توجهه

والسور التي تمثلها؛ كما بيّنا في الجدول السابق، وبحسب تسلسلها في المصحف؛ هي «النبأ، النازعات، عبس، التكوير، الانفطار».

تتكامل السور الخمس هذه فيما بينها، لتصنع عند الإنسان توجّهه، وتبدأ صناعة التوجّه من دقة التوجيه والإرشـاد؛ ذلك أنّ الأسـاس في منطلقات الإنسـان وعمله هو بنـاء قناعاته وتصوراتـه وتوجهاته، وقد تكفلت سـورة النبأ بالحديث عن الآخرة وإثبات حقيقة البعث وذكر بعض مشاهد الآخرة وبعض جزاء أهل الجنة وجزاء أهل النار، واسـتثمرت ذلك في ضبط دافعية الإنسان وتصحيح مسار تصوراته وإيمانه، ثم تُبيّن سورة النازعات خصائص العمل وقُوّته، وبعدها تُحقّق سـورة عبس نوع العمل، فتذكر أشـرفه وأحسنه وهو الدعوة إلى الله، ذلك أنه أساس ضبط سلوك الإنسان وتوجهه، ثم تركز سورة التكوير على ضرورة وضوح العمل لتحقيق الاسـتقامة في السـلوك، وأخيرًا تحقق سورة الانفطار للإنسان مسار عمله وضبط توجهه الذي يحدد أعماله ومواقفه، لتبدأ بعد ذلك المرحلة الثانية.

من ضبط الموازين عند الإنسان المتصلة بالعمل إلى تحقيق أثرها وثمرتها

والســـور التي تمثلها هي «المطففين، الانشقاق، البروج، الطارق، الأعلى، الغاشية».

تتكامل السور الستة فيما بينها لتبني في الإنسان مقومات أساســية تحقق له صناعة أمنه، وتبدأ ســورة المطففين لتضبط الموازيــن التي تتصل بعمل الإنســان، والموازين التي تتصل بالعامل نفسه، وبما يبين موقفه وجزاء عمله.

ثم تبين لنا سورة الانشقاق ضبط ميزان الدافع للعمل عند الإنسان وهو الإيمان بالله تعالى، وبعدها تقدم لنا سورة البروج ميزان الثبات والاستقامة وأثره في رفع الدرجات، وتوضح بعد ذلك سورة الطارق ميزان هذه الاســتقامة وأثرها، وهو الحفظ والقوة التي يحتاجهما الإنسان في حياته، وتأتي سورة الأعلى لتضع لنا موازين دقيقة في إعداد الإنسان نفسه وصناعتها وفق

منهج الله، ثم يعقب ذلك كله ما أوضحته سـورة الغاشـية أنّ هذه الموازين ستؤثر على الإنسان في الدنيا والآخرة، وأنّ عمله سيتغشـاه كذلك في الدنيا والآخرة، لتبـدأ بعد ذلك المرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة

من بناء قدرة الإنسان
إلى تمكينه من التصدي للتحديات

والسـور التي تمثلها هي «الفجر، البلد، الشمس، الليل، الضحى، الشرح».

تتكامل السور الستة هذه فيما بينها لتمكين قدرات الإنسان وضبـط موازينه، ليكون قـادرًا على التصدي لـكل العقبات والتحديات التي تواجهه في حياته، وأول ما يحتاجه الإنسـان هـو بناء الثقة والتفاؤل فـي حياته ليكون ذلـك دافعًا إيجابيًا للعمل، ويتكون ذلـك باليقين أنّ العاقبة للمؤمنين؛ وسـورة الفجر تحقق ذلك.

وتأتي ســورة البلد بعد ذلك لتبيــن أنّ التفاؤل محتاج أن يتعرف الإنســان على قدراته، وأن يفعّلها، ثم بيّنت لنا ســورة الشــمس أنّ من القدرات التي يبني بها الإنســان نفسه القدرة على الوقوف في وجه طغيان هذه النفس، والعمل على تزكيتها والسمو بها.

وتأتي ســورة الليل لتوضح أنه مع كــون الناس مختلفين في مســاعيهم ومنطلقاتهم ودوافعهم، فمن الواجب أن يضبط الإنسان منطلقات عمله ليؤهله ذلك للتصدي لكل التحديات والعقبات.

وبعد ذلك تأتي سورة الضحى لتبين لنا أثر تأييد الله وعطائه على الإنسان، فيمنحه الإيجابية، ويخلصه من الضعف ويدفعه للحركة والنشاط والفاعلية، وبعدها تقدم لنا سورة الشرح ضبطًا مهمًا لطاقة الإنسان وقدراته ليستطيع من خلالها الاستمرار في العمل والعطــاء والانجاز، ويظهر هــذا الضابط في تصحيح المقصد ليكون لله تعالى، لتبدأ بعد ذلك المرحلة الرابعة.

من تقويم النفس الإنسانية وانضباطها إلى تحقيق الإنجاز والنجاح في العمل والأداء

والسور التي تمثلها هي «التين، العلق، القدر، البينة، الزلزلة، العاديات، القارعة».

تتكامل السور السبعة فيما بينها لضبط قوام الإنسان التكويني في أفكاره وتصوراته وأعماله، وتكفلت سورة التين ببيان تقويم الله تعالى للإنسان في أنّ خلقه على الفطرة السليمة التي تمثل قوام الدين عنده، ثم جاءت سورة العلق تبين لنا منهج الحفاظ على حالة التقويم هذه بما يكون من حسن تعلق الإنسان بالله عز وجل، فإنّ النفس إذا تعلقت بغير الله انحرفت عن حالة القيومية التي لا تصنع إلا بقوام الدين، وحينها يكون الطغيان والشقاء.

وتأتي سورة القدر لتبين أنّ حسن التعلق يكون بالقرآن الذي يبين لك منهج هذا التعلق، فإذا تعلقت به فإن هذا يصنع

لك القدر والمكانة، وسورة البينة تفصح لنا بوضوح عن أهمية الحجة والدليل فيما تتعلق به، فتعلقك بالبيّنة يكون بالانفكاك عن القيم والسلوكيات السلبية والتعلق بالقيم الإيجابية، ولما كان نوع تعلق الإنسان مفضيًا لمصيره وجزائه كان بيان سورة الزلزلة واضحًا في الإشارة لذلك.

وجاءت سورة العاديات بعد ذلك لتوضح لنا أنّ التعلق يؤثر أول ما يؤثر في عمل الإنسان وسلوكه وقوة فاعليته، وبعدها بينت سورة القارعة طريقة نبقى بها متيقظين منتبهين فاعلين في تعلقنا وعملنا وفاعلية أعمالنا، فذكرت لنا ما يجب أن نقرع به قلوبنا ووعينا؛ وهوذلك الميزان الذي ستوزن فيه أعمالنا في الاخرة، لتبدأ بعد ذلك المرحلة الخامسة.

من بناء الحذر من المعيقات التي تعيق صناعة الإنسان إلى تحقيق فاعليته وأدائه

والسور التي تمثلها هي «التكاثر، العصر، الهمزة، الفيل، قريش، الماعون».

تتكامل السور الستة فيما بينها في توعية الإنسان وتنبيهه وتحذيره من كل ما يمكن أن يعيق عمله وأداء دوره، ليكون قادرًا على تمكين نفسه وإنجازاته.

وقد تكفلت سورة التكاثر بالتنبيه على أخطر قوة ملهية إذا انشغل بها الإنسان عن طاعة الله وارتباطه به؛ إنها قوة الالتهاء بالتكاثر، وجاءت بعدها سورة العصر لتعطينا الوصفة الآمنه للنجاح، والمخرج الصادق من هذه القوة السلبية؛ فبينت لنا منهج نجاة الإنسان من الخسران.

وتعود بنا مرة أخرى سورة الهمزة إلى تنبيهنا وتحذيرنا من المعيقات التي تثبط طاقاتنا وهممنا، وتحطم إرادتنا؛ فبيّنت لنا موقف أولئك المترصّدين المتصيّدين، وجزاءهم في الدنيا

والآخرة، وبعدها سورة الفيل تؤسس لقاعدة كبرى لطالما رأى الإنســـان نتائجها وآثارها في خطاب القـــرآن والواقع، وتتصل هذه القاعدة بتطمين المؤمنيـــن بتأييد الله لهم، ودفاعه عنهم، وتتصل بوعيد الله لكل متربص متصيد بأنّ الدائرة تدور عليه.

وتوضح لنا بعدها ســـورة قريش أهمية الإيمان في تحقيق اســـتقرار المجتمعات وأمنها؛ فإنّ السلوك الجمعي للمجتمع المؤمن ذاته إذا انحرف عن الإيمـــان والطاعة يكون معيقًا من المعيقـــات، ذلك أنّ الانحـــراف عن الإيمـــان والطاعة يحرم المجتمع من نعمة الأمن والاســـتقرار التي تشـــكل بيئة داعمة لقيم الحق كما تؤكده هذه السورة.

وتختم لنا ســـورة الماعون هذا المحـــور الهام بقيمة عالية وأساســـية في تصورات الناس وســـلوكهم؛ تلكـــم هي حقيقة التدين والالتـــزام، فإنّ الفهم الصحيح لحقيقـــة الدين، هو ما يعكس حقية التدين المنضبط المســـتقيم، وتوضح لنا السورة الكريمة قيمة العبادات الاجتماعيـــة التي ترتقي بالمجتمعات وتصونها، لتبدأ بعد ذلك المرحلة السادسة.

المرحلة السادسة

من إتقان صناعة الإنسان
إلى تحقق القوة والغلبة للإنسان المؤمن

والسور التي تمثلها هي «الكوثر، الكافرون، النصر، المسد، الإخلاص، الفلق، الناس».

تتكامل السور السبعة هذه في بلورة الحقائق الكلية السابقة في بناء الإنسان وصناعته، بل في بلورة الحقائق القرآنية الكلية التي تهدف إلى هداية الإنسان وإرشاده سنن النجاة والفوز.

إنّ فهم حقيقة هذا الدين والحرص على التديّن السليم يجلب عطاءات الله عز وجل التي تمنح الإيجابية للعمل والثقة بموعوده سبحانه، فتستثمر طاقاتك وإمكاناتك وتستمر في تحقيق واجبك ودورك، وهذا ما جاءت توضحه سورة الكوثر.

وهذه الإيجابية والثقة ليست انفعالاً عاطفياً اعتباطياً، بل هي مبنية على وضوح تصورات المسلم ومواقفه وثباته عليهما، وهي متصلة تمام الاتصال بتوازن تصوراته ومواقفه دون

مجاملة أو مواربة في ذلك، وهذا وضحته لنا ســـورة الكافرون، لتأتي بعدها ســـورة النصر مبينة حقيقة نهائية مترتبة على وعي المؤمن وحسن أدائه وثباته واستقامته؛ وهي النصر والتمكين.

وســـورة المســـد تبين لنا أنّ تحقق النصر والتمكين ليس مرتبطًا بضعف الباطل، فإنّ كل جهود الذين يصدّون عن الحق، مهما بلغت قوّتها إلى هبـــاء؛ لأن النصر والتمكين بيد الله عز وجل، وهذا ما ينبغي أن يثق به المسلم، مع التأكيد على أنّ هذه الحقيقة لا ينبغـــي أن تعفينا من الدور المناط بنا لنصرة الحق، والدفاع عنه، والعمل لتمكينه.

وتأتي سورة الإخلاص لتبين أنّ التصور الإيماني الصحيح، وما ينتج عنه من عمل، هو الذي يحقق معية الله وتأييده، وهو سبيل تحقيق النصر، وتمكين أهل الحق.

وسورة الفلق، وبعدها سورة الناس؛ تبينان أنّ من معيّة الله للإنســـان أن عرّفه وحدّد له المعيقات الخارجية والذاتية التي تؤثر عليه وعلى عمله، وبيّن لـــه أطراف الصراع التي يواجهها

في مســيرته الإيمانية الحركية الفاعلة؛ فالمؤمن يحســن إدارة المواقف مع كل محيطه، في أيّ شرر يصيبه من أحد ممن خلق الله في هذا الوجــود، ومن المثبطين المعيقين النافثين في كل عقدة يخذلون بها الحق وأنصاره، ومن الكائدين المترصدين، ومن المتربصين الحانقين من الشياطن والبشر، ومن شر النفس التــي تعيق صاحبها عــن كل خير، فيلزمه تعاهدهــا وتربيتها وتزكيتها.

لعله تأكد لنا مما سبق أنّ قيم هذه السور التي كشفت عنها هدايات آياتها وموضوعاتها، والتي بيّنت لنا كذلك مراحل بناء الإنسان ومفاتيح تكوينه؛ تتكامل لتحقيق مقصد رئيس ينسجم مع مقاصد القــرآن الكلية الرامية لهداية الإنســان وبنائه، ولعل هذا المقصد يتجلى في بيانه وتحديده لمقومات بناء الإنســان وإعداده، وهذا ما سنتناوله في الورقات القادمة بإذن الله........

مقومات بناء الإنسان وإعداده، وتكامل قيم سور الجزء في تحقيقها

تتجلى قيمة الإنسان في مواقفه وأعماله، وتتجلى هذه المواقف والأعمال في ارتباطها بتصوراته وقناعاته، وتشكل رغبات الإنسان وإراداته بعد ذلك الدافع والمحفّز للإنجاز والعمل.

وإنّ قيمة كل إنسان في الحياة الدنيا إنما تظهر بأعماله وإنجازلته «فقيمة كل امرئ ما يتقن»، ولأجل ذلك فالإنسان محتاج أن يتعرف على ما يتحقق به نجاحه ومشروعه الذي يستمده من حمله لأمانة التكليف.

وفي ضوء هذا نجد أننا محتاجون لفهم أمرين اثنين أساسيين؛ محتاجون أن نفهم ذاتنا وما يحركنا نحو العمل والإنجاز، ثم محتاجون أن نتعرف على قيمة العمل ذاته وما يتصل به من مقومات ومعيقات ونتائج وآثار.

وفي الجانب الأول الذي نحتاج فيه فهم ذاتنا لا بد من الحديث عن أمور ثلاثة أساسية:

١. أن نتحدث عن التصورات والقناعات التي توجهنا وتتحكم في أفعالنا وسلوكنا.
٢. وعن الإمكانات والقدرات التي تؤهلنا لإنجاز مطلوباتنا.
٣. وعن الرغبات والإرادات التي تحفزنا وتدفعنا للعمل والإنجاز.

وفي الجانب الثاني الذي نحتاج فيه التعرّف على قيمة العمل لا بد من الحديث عن أمرين أساسيين:

١. أن نتحدث عن ضبط منهج الإنسان الذي يجب أن يسير عليه في حياته، وعن آليات عمله وسيره في الحياة، وهو ما يشكل لديه (مشروع العمل).
٢. وأن نتحدث عن بيان عاقبة تكوين الإنسان وعاقبة عمله، والنتيجة المرجوة عنده من ذلك، وهي النصر والتمكين.

ولعل في الشــكل التالي ما يلخص العلاقة التكاملية بين هذه المقومات تمهيدًا لشرحها وبيانها:



إن الّلافت للانتباه أنك وأنت تقرأ سور هذا الجزء المبارك تجدها قد ركّزت بشكل واضح، وبيّنت بشكل منهجي منضبط هذه العناصــر والمكونات الأساســية في إعداد الشــخصية الإنسانية إعدادًا إيمانيًا فاعلاً مؤثرًا.

ولعلك تسأل عزيزي القارئ كيف نستطيع من خلال هذه

السور التي رأينا تناسبها وقيمها وفق تسلسلها في المصحف؛ لعلك تسأل: كيف نستطيع بيان هذه العناصر والمكونات التي تقترحها؟!

وسوف أجيبك على ذلك بما عملته فعلاً؛ حيث قمت بعد تحديد مقصد كل سورة وموضوعها وقيمتها الرئيسة، بجمع هذه القيم وفق أطر وتشكيلات موضوعية كلية جامعة، وربطت بين المتناسبات منها موضوعيًا وقيميًا، ونسقت بينها.

ثم إنني بعد ذلك نظرت في كل سورة من هذه السور، ووزعتها وفق هذه الدلالات الموضوعية التي تحققها، مع ملاحظة منهجية في غاية الأهمية، وهي أنك قد تجد في السورة الواحدة دلالات تفصيلية متعددة يمكنك من خلالها أن تجعل السورة في أكثر من إطار موضوعي، لكنني نظرت إلى القيمة الأشمل والأعم في السورة، وصنفتها وفق إطارها الموضوعي بهذا الاعتبار، ذلك أنّ القدر المشترك بين السور في الموضوعات والدلالات يجعل هذا المسلك دقيقًا رقيقًا.

وقد وجدت أنّ هذه النظـرة المنهجية الموضوعية تحدد لنا هدفًا واضحًا منسـجمًا متناسقًا لكل هذه السور، فاجتهدت ليكون عنوانه: «مقومات بناء الإنسان وإعداده».

هذا جهدي ورأيي، والموفق هو الله، وأسأله تعالى التوفيق والسداد والقبول.....

نعـود بك الآن لمـا وعدناك بـه من بيان وشـرح لهذه المقومات من نقطة البداية المتصلة بما يحتاجه الإنسـان من فهم لذاته وفهم لمشروع عمله.

أول مقوم من هذه المقومات

فهم الإنسان لذاته

أرى أنّ سور الجزء قدّمت لنا ما نفهم به ذواتنا، فإنّ ما يحتاجه الإنسان لفهم ذاته وللتعرف على ما يحركه ويضبط سلوكه وعمله، الوقوف على قضايا رئيسة ثلاثة، ذكرتها لك سابقًا؛ وهي: كيفية بناء تصوراته وقناعاته، ومعرفة قدراته وإمكاناته، وتنمية رغباته وإراداته.

فأول ما نحتاجه لفهم ذاتنا: بناء تصوراتنا وقناعاتنا:

من المعلوم أنّ مَن يتحكم بالإنسان في مواقفه وأعماله وحياته هي تصوراته، ولذا يُقال دائمًا إنّ الإنسان ابن أفكاره وتصوراته وقناعاته، وهي التي تتحكم في مواقفه وأعماله وحياته.

ومنذ فجر الإنسانية والرسائل الإلهية تأتي كلها لبناء تصور الإنسان تجاه نفسه، وتجاه الكون، وتجاه الوجود، لتُجيبه

عن الأسـئلة الكبرى: مَن أنا؟ مَن الـذي أوجدني؟ ما دوري وما المطلـوب منّي؟ ما مصيري ومآلي؟ وهـذه كلها في بناء التصورات التي قال عنها ربنا سـبحانه وتعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ المؤمنـون:١١٥، ولذلك عندما نتكلم في هذا الجزء عن بناء الإنسـان، فإنّ أهم شيء في بناء الإنسان هو بناء تصوراته وقناعاته، لتتحقق الإجابة عن هذه الأسئلة الحائرة التي يحتاجها جميع البشر اليوم.

وقد جاء في هذا الجزء سـور معينة تركز بشـكل أساسي على هذا البناء، إلا أنّ الجانب الأكبر وضوحًا فيما ركزت عليه سـور هذا الجزء، هو الإيمان بالله عز وجل، وجانب الإيمان بالآخرة تحديـدًا، وأما بقية أركان الإيمان فلـم يذكرها الجزء بشكل مباشر ومكثف كما كان في الركنين السابقين.

نعـم، لقد ورد في هذا الجـزء حديث عن الملائكة وعن الأنبياء والرسـل وقصصهم كقصة موسـى عليه السلام على سبيل المثال، لكن لم يتكلم بشكل مباشرٍ يدعو لهذا الجانب؛ لأن القيمة الأساسية التي ركّز عليها الجزء هنا هي الإيمان بالله

باعتبار أنها القيمة الأساسية، وعن الإيمان بالآخرة باعتباره المُوجّه لحقيقة الإيمان بالله تعالى وبحقائق الايمان عمومًا؛ فإذا آمَن الإنسان بالله وما كان هناك إيمان بالآخرة -لو افترضنا أنه ليس هناك إيمان بالآخرة- فما قيمة الإيمان بالله عز وجل ؟ فهو عبارة عن تصور نظري لن ينعكس على عمله، ولن ينضبط عمله وسلوكه.

لذلك بعد أن بُنِي الإيمان عند الإنسان في القرآن عمومًا، وتأكّدت هذه القضايا، أخذ هذا الجزء بتكثيف توجيه الإنسان للإيمان بالآخرة لضبط توجهه منذ البداية، فجاءت سورة النبأ التي تتكلم عن أدلة إثبات البعث وإثبات الآخرة لهذا الغرض، وهي السورة الأولى الأساسية الرئيسية في الجزء.

والحديث عن الآخرة في القرآن عموماً وفي هذا الجزء على وجه الخصوص؛ إما أن يأتي بأدلة لإثبات الآخرة والبعث، أويأتي بمشاهد من الأحداث فيهما، أو أن يأتينا بجزاء أهل الجنة وجزاء أهل النار.

وقد أكّدت سورة النبأ جانب الأدلة بشكل قوي جدًا، وفي الوقت ذاته جاءت ببعض المشاهد، وبتفصيل الحديث عن الجزاء؛ كل ذلك لتحريك الإنسان وصناعة الدافعية عنده نحو العمل.

وما دام حديثنا هنا عن بناء تصوراتنا وقناعاتنا فإنني أرى أنّ سور هذا الجزء قد أسهمت في تحقيق ذلك على أربعة أسس:

- الأول: بناء الإيمان بالله، ولعل أكثر[1] سورة تشير إليه وتمثله وتؤكده سورة الإخلاص.
- الثاني: بناء الإيمان بالآخرة، وأكثر سورة تمثله سورة النبأ.
- الثالث: منهج تحقيق البناء الإيماني، وأكثر ما تكفلت به من السور: الأعلى، البيّنة، العلق، القَدر.
- الرابع: نتيجة هذا البناء والإعداد وهي أن تتشكل عند الإنسان الرؤية الواضحة والمواقف الثابتة الواضحة، وتكفلت به سورة الكافرون.

---

(١) هكذا نقول: أكثر سورة... وهي عبارة لا بد أن نستصحبها مع كل جملة من هذه الجمل التي اخترنا فيها اسم السورة لتُعبّر عن موضوع أو فكرة معينة؛ لأننا نقصد التغليب والتركيز في موضوع السورة وقيمتها.

السورة	الإخلاص	النبأ	الأعلى	البينة	العلق	القدر	الكافرون
قيمتها	الدعوة إلى إخلاص المؤمن في صحة تصوره وصدق توجهه النابع من حقيقة الإيمان بالله تعالى	توجيه الإنسان لضبط توجهه وتمكين حقيقة الإيمان وفاعليته في حياته من خلال ربطه بحقيقة الإيمان بالبعث	منهج صناعة الإنسان الأعلى وبنائه الأمثل	الحق يحتاج إلى وضوح الحجة والبينة ليتخذ الإنسان موقفه منه، فينفك عن القيم والسلوكيات السلبية ويتعلق بالقيم الإيجابية	تحقيق منهج حسن تعلق الإنسان بالله ومقاومة طغيان نفسه	قدر الإنسان ومكانته يتحققان باتباعه للقرآن	الدعوة إلى تأكيد حرية الإنسان في اختياره، وأثر وضوح تصورات المسلم على ثباته في إيمانه ومواقفه

إننا نلحظ بوضوح أنّ الجزء قد ركّز على بُعدين رئيسيين في بناء التصور عند الإنسان؛ وهُما: الإيمان بالله، وقد كانت سورة الإخلاص هي الأساس فيه، والإيمان بالآخرة، وقد كانت سورة النبأ هي الأساس فيه.

ففي سورة الإخلاص تتحقق معرفة الله عز وجل، وذلك يشكل المنطلق....

والمنطلق يحتاج إلى ضبط وتوجيه وتفعيل وتحفيز، ليكون له أثره على سلوك الإنسان ومواقفه وأعماله، ونجد أنّ الإيمان بالآخرة يحقق ذلك ويبنيه بناءً منهجيًا في نفس الإنسان، والذي نلمسه أن سورة النبأ قد جمعت هذا البناء وأسّسته بقوة.

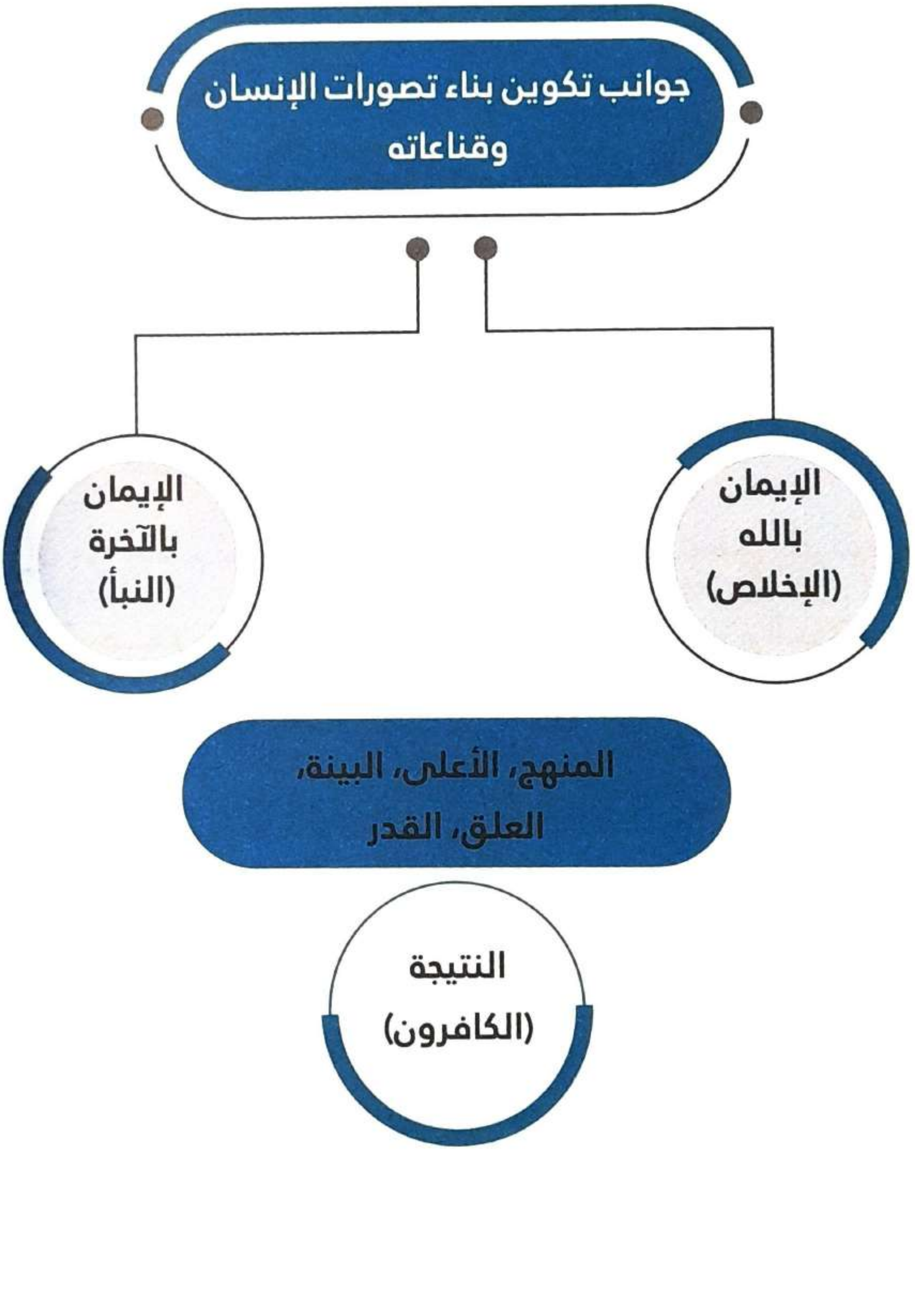
إنّ تحقيق قيمة بناء تصورات الإنسان مرتبط تمام الارتباط بصناعة الإنسان نفسه وإعدادها لتكون صناعته القيمية والمواقفية هي الصناعة الأعلى المشرقة المرتبطة بالله تعالى، وما نراه أنّ سورة الأعلى هي ما يحقق ذلك، وإنّ من مقتضيات هذا البناء انفكاك الإنسان عن أفكاره وقناعاته السلبية السابقة

التي لطالما أثرت في مواقفه وحياته، وكان لا بد بدلاً من ذلك أن يتعلق بأفـكار وقناعات وتصـورات إيجابية جديدة تكون مأمونة المصدر موثوقة المنهج؛ فجاءت سـورة البيّنة تتحدث عن الانفكاك، وجاءت سورة العلق تتحدث عن التعلق.

ولا شك أنّ مثل هذا البناء والإعداد يصنع للإنسان قدرًا ومكانة، فجاءت سـورة القدر تبين أنّ مكانة الإنسان وقدره إنما تتحقق بتكوين نفسه وفق منهج القرآن.

وإنّ من أعظم ثمار هذا البناء بهذا المنهج أن يتحقق للفرد، بل للأمة جميعهـا وضوح الرؤية والتصور في الأفكار والمواقف، وقد ركّزت سـورة الكافـرون على هذا المعنى، وأسّسـت له وكفلت له حرية الاختيار وتحمل المسؤولية.

ويمكننا تقريب هذه العلاقة بالرسم التالي:



نأتي الآن إلـــى الأمر الثاني الذي نحتاجه لفهم ذاتنا: وهو ضرورة التعرف على إمكاناتنا وقدراتنا وإعدادها وتفعيلها:

يحتاج الإنســـان ليكون قادراً على أداء دوره ومهمته التي كُلِّف بها في الحيـــاة وفق التصور الذي قدّمه لنا القرآن الكريم إلى قدرات وإمكانات تؤهله لذلك.

والحديث عن القدرات أمر فـــي غاية الأهمية، بل يحتاج إلى وقفات وعنايات جادة في سبيل توضيحه وتأكيده ؛ ولعل أهم ما ينبغي أن ندركه دائمًا في الحديث عن القدرات:

١. ضرورة اكتشافنا قدراتنا التي تؤهلنا للقيام بدورنا وواجباتنا.
٢. تنمية هذه القدرات وتطويرها وتحسينها.
٣. حسن توظيفها واستثمارها؛ وهذه هي الثمرة والنتيجة لكل ما تقدّم.

وقد وجدت أنّ سور هذا الجزء -بشكل لافت- معزّزة لهذه القيمة في بناء قدرات الإنســـان وإمكاناته، وكأنها تُجيبنا على السؤال الملحّ:

كيف نكـــون قادرين على اكتشـــاف طاقاتنـــا وإمكاناتنا وتفعيلها في واقع حياتنا؟؟

وقبل الإجابة على ذلك من خلال ما تبينه لنا سور الجزء، نجد أنفســـنا محتاجين أن نذكر بعض الجوانب التي يظهر من خلالها تكوين قدراتنا وإمكاناتنا:

١. فهي تظهر في وعينا على ذاتنا ومعرفتنا بحقيقة أنفسنا.
٢. وتظهـــر فـــي امتلاكنـــا القوة والقـــدرة وحفـــظ الطاقات والإمكانات والقدرات.
٣. وفي امتلاك النفس وتزكيتها وحسن قيادتها والتحكم فيها لتحصينها وتحقيق قوتها.
٤. وفي التموضع وتمكين القـــدرات والإمكانات من خلال مشـــروع، نتجاوز فيه التحديات والعقبـــات والمعيقات، ونفعّل فيه الطاقات والإمكانات.
٥. التمكن والتمكين والاستمرار والثبات على الإنجاز.

ومن هنا نجد أنّ السور التي ركّزت بشكل واضح على هذا الجانب وبيّنته يمكن أن تكون السور الخمسة التالية:

السورة	التين	الطارق	الشمس	البلد	البروج
قيمتها	إحسان تقويم الإنسان في تصوراته وأعماله يتحقق بقوام هذا الدين وقيوميته	أهمية حفظ الله في تحقيق القوة والنصرة للمؤمنين	تسوية النفس واستعدادها للاختيار والعمل والتغيير، وبيان أنّ قوّتها في تزكيتها وتمكين علاقتها بالله، وأنّ خيبتها وخسارتها في بُعدها عن منهج الله	معرفة الإنسان بقدراته تمُكّنه من اختيار طريقه الصحيح في العمل والإنجاز وبناء مجتمعه وتجاوز العقبات	الثبات والاستقامة سبيل لرفع الدرجات

تبدأ هذه المجموعة بسـورة «التين» التي تتكلم عن وعي الإنسان على ذاته، ومعرفة الإنسان بحقيقة نفسه أنها خُلقت في أحسن تقويم، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾،

وهذا يحقق للإنسان الأساس لمعرفة قدراته وإمكاناته التي تؤهله للقيام بواجب عمارة الأرض.

ولأجل أن يتمكن الإنسان من قدراته وإمكاناته فإنه يحتاج إلى قيمتين مرافقتين:

١. القوة والحفظ، وجاءت سورة الطارق تبني ذلك وتحققه.
٢. تزكية النفس؛ بأن يعرف الإنسان حقيقة وحي الله له فيزكي نفسه، وينمي قيمها ومعارفها وسلوكها، فجاءت سورة الشمس تحقق ذلك، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ الشمس:٩-١٠.

ولأن واجب الإنسان أن يتعرف على التحديات الكثيرة والمعيقات والعقبات التي تواجهه في طريق تكوين نفسه، وأنه لا بد أن يتجاوزها، فإنّ ذلك يتحقق بتمكين قدراته وإمكاناته في مكان ما، يمثل بيئة عمله وتحقيق أهدافه وقيمه، فجاءت سورة البلد توضح ذلك، قال تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ ...... ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ البلد:١١-١٧،

وكل مـــا تقدّم فـــي الحديث عن هذه الإمكانـــات، وتمكينها، وتوطيدها، محتاج إلى ثبات الإنسان في التحديات، ومحتاج إلى الاســـتقامته ليصل إلى نتيجة ما يريد، وسورة البروج ترشد إلى ذلك وتبينه..

إذا اتضـــح لنا هذا فنأتي لبيان ثالث ما نحتاجه لفهم ذاتنا، وهو بناء إرادتنا وتعاهد دافعياتنا ورغباتنا....

بناء إراداتنا وتعاهد دافعياتنا ورغباتنا، هو ثالث ما نحتاجه لفهم ذاتنا:

إنّ من أهم ما يلزم الإنسان أن يدرك تلك القوة التي تحركه وتدفعه لاستثمار إمكاناته وقدراته في تحقيق قناعاته وتصوراته، وتلك القوة هي الإرادة.

كلنا نسأل: كيف تتشكل إرادتنا؟ وكيف السبيل إلى تفعيلها وتعاهدها؟

لعل أكثر ما يشـــير إلى تشكل إرادة الإنسان ودافعيته نحو العمل هو وضوح الأهداف لديه...

إنّ مما يقتضيه تشكيل إرادته أن يكون تصوره واضحًا، وقدراته مُدرَكة، وأن يبني أهدافه، ويحدد مقاصده ليكون ذلك مؤثرًا في العمل والبذل واستقامة السلوك والثبات على المبدأ.

من هنا فإنّ بناء الإرادة وتكوينها وتفعيلها يظهر من خلال:

١. وضوح الرؤية والتصور عند الإنسان.

٢. ومن خلال تنمية الأهداف ورعايتها.

ويحتاج الانسان لأجل ضبط رؤيته وتنمية أهدافه ورعايتها إلى إدراكات ثلاثة؛ تظهر في إدراك قيمة المحاسبة والجزاء، وإدراك قيمة التفاؤل والإيجابية، وإدراك قيمة المؤثرات السلبية والإيجابية في حياته... ولا تتعجب أن تجد بيان هذا الأمر مستغرقًا لسور كثيرة من سور هذا الجزء، فذلك دال على أهميته وضرورة الوقوف معه متأنيًا، فإنّ هذه الإدراكات تصنع صنيعها في نفس الإنسان لتقوية إرادته، وتحريكها نحو العمل.

وهنا أقوم بتوضيح هذه الإدراكات وما يتصل بها من دلالات السور.

الإدراك الأول: يحتاج فيه الإنسان إلى إدراكه للجزاء والأثر الذي يحصله ويناله في الدنيا والآخرة، وأكثر ما يظهر في سور الجزء مما ركزت عليه، سور العصر والغاشية والزلزلة والقارعة؛ وهذه قيمها كما تظهر في الجدول:

السورة	العصر	الغاشية	الزلزلة	القارعة
قيمتها	بيان منهج القرآن في تحقيق نجاة الإنسان من الخسران بالإيمان وعمل الصالحات	قيمة الإنسان ومكانته من خلال عمله الذي يتغشاه فيدل عليه في الدنيا والآخرة	تقرير مصير الإنسان في الآخرة بناء على عمله في الدنيا	علم الإنسان بموازين الآخرة وإيمانه بها تدعوه إلى ضبط عمله وإتقانه

لقد جلّت هذه السور الأربعة تلك القيمة الدافعة والمحركة وفق منهج منضبط، يقوم على توجيه الإنسان بالسعي نحو طلب النجاة، ومن خلال بيان أثر عمله عليه وانعكاسه على حياته في الدنيا والآخرة، وأنّ جزاءه مرتبط بنوع سعيه، فمن واجبه بعد إدراك ذلك أن يضبط موازين هذا العمل لأنه محاسب عليه يوم القيامة.

الإدراك الثاني: يحتاج فيه الإنسان إلى تفاؤل وثقة وإيجابية، وأكثر السـور تبنيه وتحققه وتركز عليه في اعتقادي، هي سور: الفجر والضحى والشـرح؛ إذ إنّ الإنسـان المسلم يصنع هذا التفاؤل، ويبني هذه الثقة، بيقينه بالله تعالى وموعوده وتأييده، واسـتمرار عطائه ونصرته له، وهي أمور حققتها هذه السـور وأسسـتها، ولعل الجدول التالي الذي يذكرك بقيمها يؤكد لك ذلك:

السورة	الفجر	الضحى	الشرح
قيمتها	اليقين بأنّ العاقبة للمؤمنين المصدّقين يصنع التفاؤل والأمل والثقة التي تدفعك إلى العمل	رعاية الله لك وتأييده ونصرته لك يمنحك الإيجابية ويخلصك من ضعفك ويدفعك للحركة والنشاط والفاعلية، وللعطاء بلا انقطاع	عطاء الله لك وتأييده دافع إيجابي للاستمرارية في العمل وضبط توجهك إليه في مقاصدك وأعمالك

الإدراك الثالث: وهو ما يحتاج فيه الإنسان لصناعة رغباته وتحقيـق أهدافـه أن يُدرك أنّ هنـاك ما يؤثر عليـه في إرادته ودافعياته سـلبًا أو إيجابًا؛ فكما أنّ هنـاك قوى إيجابية تدفع،

يوجد قوى ســلبية تعيق، فجاءت ســورتا: التكاثــر والكوثر تحققان ذلك وتوضحانه؛ فبيّنت لنا سورة التكاثر أنّ الانشغال بالتكاثر والاستغراق فيه قوة سلبية تُلهي عن الحق، ووضحت لنا ســورة الكوثر أنّ إدراك عطاء الله وفضله، والقيام بواجباته هي قوة إيجابية في تحقيق الدافعية.

والإنسان بين هاتين القوتين يصنع إراداته ويختار دافعياته.

السورة	التكاثر	الكوثر
قيمتها	التحذير من قوة التكاثر السلبية التي تلهي الإنسان عن أمر الله	عطاء الله لك يمنحك الإيجابية للعمل والثقة بموعوده سبحانه لك باستمرار فعلك ووجودك

بعد أن انتهينا من بيان ما نراه في المقوم الأول من مقومات بناء الإنســان وإعداده، ننتقل بك للمقــوم الثاني، فلا تتعجل علينا، وأنظرنا نخبرك حقيقــة ما توصلنا إليه من التأمل والتدبّر والتفكّر؛ فلعله يعجبك ويروقك.....

ثاني مقوم من مقومات بناء الإنسان وإعداده

تعريف الإنسان بمشروع العمل

حديثنا في هذا الجانب متصل بما سبق اتصالاً شديدًا، حيث إنّ ثمرة إعداد الإنسان نفسه، وثمرة بنائه لذاته تظهر في سلوكه وعمله، وبذلك تتحقق ثمرة الجهد الذي يبذله والعمل الذي يقوم به وتتأكد نتيجته.

وهو حديث يشمل أمرين اثنين:

- الأول: بيان ضبط منهج الإنسان وآليات عمله.
- الثاني: بيان أنّ عاقبة تكوين الإنسان وعاقبة عمله هو التأييد والنصر والتمكين.

وإليك تفصيل ذلك وبيانه...

أولاً

ضبط منهج الإنسان وآليات عمله، وهو أكثر ما يبرز (مشروع العمل) لديه

إنّ النتيجة الطبيعية لبناء الإنسان تصوراته وقدراته أن تتكامل شخصيته لينتقل بعد ذلك نحو العمل، وليقوم بالدور المطلوب منه، وأن ينجز مهامه.

والمطلوب من الإنسان أن يعمل وأن يبذل ويقدم جهده في العمل، وليس المقصود من العمل هنا ما كان شعائر عبادية، إنما المقصود به العمل مطلقًا؛ ما كان عبادة محضة، أو كان عملاً دنيويًا لكنه وفق منهج الله ومراده.

وسور الجزء تقدّم الحديث عن العمل بشكل مفصل ومركز في مجموع سور، بل نجد أن أكثر السور في هذا الجزء جاءت تتحدث عن العمل، وهناك آيات تلفت انتباهنا في الحديث عن العمل وربطه بالإيمان، ومما يظهر من ذلك بشكل لافت هذه الآيات:

- قولـه تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾ الانشقاق: ٢٥.
- قولـه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ البروج: ١١.
- قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ التين: ٦.
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ البينة: ٧.
- قولـه تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ العصر:٣.

ولو تأملنا جيدًا في سور هذا الجزء فإننا نجدها قد أبرزت الحديث عن جوانب تكوين مشروع عمل الإنسان وضبط منهجه وآلياته من خلال توضيح بعض القضايا وتركيزها؛ من ذلك أنها ركزت على بيان باعث العمل، وعل بيان خصائص العمل والعاملين، وعلى بيان نوع العمل، وعلى بيان بيئة العمل التي تعين على إنجازه وإتمامه، وعلى بيان المُعيقات التي تقف في وجه العمل وتحدياته.

ويمكننا أن نقدم السور التي تتحدث عن هذه القضايا بحسب موضوعاتها وصلتها بالعمل بشكل بارز، ضمن مستويات من السور مترابطة القيم، وبيان ذلك على النحو الآتي:

المستوى الأول:

وهي السورة الأساسية التي تتحدث عن باعث العمل والدافع إليه:

وقد تكفلت سورة الانشقاق بتوضيح ذلك وبيانه، حيث ركزت على توضيح قيمة الإيمان التي هي الأساس الدافع نحو العمل، والموجّه له، والسورة تدور قيمتها في معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾

الانشقاق:٦.

السورة	الانشقاق
قيمتها	بيان دافعية الإنسان وباعثه للعمل فالمؤمن الذي يعمل الصالحات دافعه الإيمان، وأما الكفار المكذبون فدافعهم حب الدنيا وجمع ما فيها

المستوى الثاني:

السور التي تتحدث عن خصائص العمل والعاملين:

السورة	التكوير	الانفطار	المطففين	النازعات	العاديات	الليل
قيمتها	دعوة إلى الاستقامة في السلوك والعمل لأن هذه هو حقيقة ما سيبقى مع الإنسان يوم القيامة بعد أن تنقطع كل العلاقات، وسيواجه حينها ما أحضره	شمول عمل الإنسان وتنوعه ليكون عنوان التصديق بالدين أو التكذيب به	ضبط موازين العمل والعاملين وأثر ذلك في سلوكهم وجزائهم	خصائص قوة عمل الإنسان التي ينزع بها مكانته الصالحة في الدنيا ويحقق بها دوره الإيجابي بدل طغيان النفس وسلبيتها	أثر وضوح موقف الإنسان على قوة عمله وتحقق نتيجته	ضبط اختلاف سعي الناس وتوجههم في أعمالهم وأن سعيهم متعدد متنوع

ركزت هـذه المجموعة على بيان حاجتنـا لأربعة أمور، يجب أن تتوافر في العمل والعاملين، وهي:

١. أن يكون العمل واسـعًا وشـاملًا، نحقق فيه الاسـتقامة، وسورتا التكوير والانفطار تحققان ذلك.

٢. أن نضبـط موازين العمل، فنحتاج إلـى الوعي على هذه الموازين وتفعياها، وسورة المطففين تحقق ذلك.

٣. أن نخطط للعمل، ونرسـم لـه ملامح النجـاح والتأثير، ونحقق أثره، وسورتا النازعات والعاديات تحققان ذلك.

٤. أن نعرف خصائص العاملين وطبائعهم ومواقفهم، وسورة الليل تبين لنا أنّ سـعي الناس مختلف ومتعدد بين الخير والشر، والحق والباطل، والإيمان والكفر.

إنّ نظرة متأملة في هذه السور ومقاصدها وقيمها، تكشف لنا تجليتها لهذه الأمور وتوضيحها لها.

المستوى الثالث:

السور التي تتحدث عن نوع العمل:

لقد أشارت سور الجزء إلى أنواع كثيرة من العمل، وصنوف شتى منه، إلا أنها جمعت أمر العمل في بعدين اثنين، جعلتهما الأساس لكل أنواع العمل عند الإنسان:

- الأول: العمل الدعوي وهو تبيلغ الدين وبيان حقائقه، وقد ورد هـذا كثيرًا في الجزء في ألفـاظ محددة مثل: «فذكّر، النذير، الإنذار، لتنذر قوماً، ...»، وأوضح سورة مثلت هذا البُعد هي سورة عبس، فقد اسـتجمعت قيمة الدعوة إلى الله عموماً.
- الثاني: التأسـيس لحقيقة التديّن، وانعكاسـه في العمل الاجتماعـي الذي يقيـم المجتمع وينهض بـه، ولعلك تعجب أنّ السـورة التي جمعت هذا الأمـر على أهميته ومكانته، هي سـورة لم تتجاوز آياتها سـبع آيات، وهي سـورة هذا الماعون، التي استجمعت أسـاس العبادات الاجتماعية المؤكدة حقيقة التصديق بالدين.

وهاتان هما السورتان وقيمتاهما التفصيليتان:

السورة	عبس	الماعون
قيمتها	حسن الدعوة إلى الله والنجاح فيها في التعامل مع الآخرين هو مفتاح النجاح في كل الأعمال	الدعوة إلى التدين الصحيح السليم بفهم حقيقة الدين والتحذير من تكذيبه بأعمال تناقض حقيقته

المستوى الرابع:

السور التي تتحدث عن بيئة العمل:

من المهم للإنسـان في عمله الذي يقوم بـه أن يكون له بيئة آمنة، يتحقق مـن خلالها أثر هذا العمل، لكن اللازم تهيئة هذه البيئة تهيئة إيمانيـة تمكنها من تحقيق الأمن العام والأمن الغذائي والاسـتقرار المجتمعي، وقد جاءت سورة قريش تبين ذلك؛ فتكلمت عن قيمتين مهمتين: قيمة الأمن الغذائي، وقيمة الأمن العام (الأمن من الخوف)، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ قريش:٣-٤.

وهاتان قيمتان أساسيتان في حياة الناس، والبشرية جميعًا تسعى في بنائها الاجتماعي لتحقيقهما وتحقيق أثرهما، وذلك هو ما يقومُ عليه بناء المجتمع الآمن الذي تتحقق فيه طاعة الله.

السورة	قريش
قيمتها	التنويه إلى أهمية استقرار المجتمعات وتحقق أمنها وأمانها بالإيمان والطاعة

المستوى الخامس:

السور التي تتحدث عن مُعيقات العمل وتحدياته

للعمل مُعيقات تعيقه وتعيقُ تحقيق أثره، وتأتي هذه المعيقات على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع، وتكون داخلية في ذات الإنسان أو مجتمعه ومحيطه، وتكون أحيانًا خارجية عن محيطه وما حوله.

وقد نبّهتنا سورة الناس إلى المعيقات الفردية التي قد تكون مؤثراتها في دواخلنا، وبينت لنا حقيقة الصراع الذي يواجهنا على طريق الحياة، وأما سورة الفلق فنبّهتنا إلى معيقات خارجية يأتي تأثيرها مما حولنا.

وعلى المُعيقات على مستوى المجتمع؛ فنبّهتنا سورة الهُمزة إلى الداخلية منها، وأما الخارجية فنبّهت عليها سورة المسد[1].

ومن شـــأن هذه المعيقات أن تُقلل من أثر العمل، أو تمنع منه وتصـــدّ عنه، لذلك فقـــد جاءت هذه الســـور ضمن هذه المجموعة تبين ذلك وتوضحه.

السورة	الناس	الفلق	الهُمَزة	المسد
قيمتها	الدعوة إلى الحذر من أعداء الصراع الثلاثة مع الإنسان، والتي تعيق المسلم عن مشروعه الإيماني الهدائي، وعن مشروع العمل لديه	الدعوة إلى الحذر من المُعيقات التي تصد الإنسان وتمنعه عن مشروعه الإيماني الهدائي، وعن مشروع العمل لديه.	التحذير من المُعيقات التي تثبط الإنسان وتحبطه عن العمل وتحطم إرادته	الثقة بالتمكين لهذا الدين مهما كانت جهود أعدائه في الصد عنه فإن أعمالهم إلى هباء

(١) في ســـورة المسد إشـــارة إلى أبي لهب وزوجه وذُكرا بالاســـم تحديدًا وقد عُرفا أنهما من خارج تكوين المجتمع المســـلم، فاعتبرناها تتكلم عن مؤثرات خارجية، أما سورة الهُمزة فقد جاءت تتكلم عن وصف دون أن تحدد أشـــخاصًا بعينهم -وإن ورد في سبب نزولها أنها تتحدث عن الوليد بن المغيرة- فكان التركيز على العمل ذاته، ولعل هذا يؤيد أن يكون حديثها عن المعيقات الداخلية.

الأمر الثاني فيما نحتاجه للتعريف بمشـروع العمل: بيان أنّ عاقبة تكوين الإنســان وعاقبة عمله هو تأييد الله تعالى له، ودفاعه عنه، وتحقيق النصر والتمكين.

شــكّلت لنا ســور الجزء صورة واضحة عن فهم الإنسان لذاته في تصوراتــه وقدراته وإراداته، وبيّنــت لنا قيمة العمل ومتعلقاته بــكل تفصيلاته، ونحتاج هنــا أن نتعرف على ثمرة هذه الجهود، ونتيجة هذا العمل، وهي حصيلة ما يســعى إليه الإنسان في كل جهده.

إنّ العاقبة الحقيقية هي تحقيق التمكين على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع، وحصول التمكين، وهو في الحقيقة تحقيق الإنســان لرســالته، ولمراد الله منه، فإنّ بناء الإنســان وإعداده هو طريق صناعة الأمة وتحقيق النصر والتمكين لها.

ولعل ســورة تســمى باســم النصر تكون وحدهــا كافية للتأســيس لهذه الحقيقة وبيانها وتأكيدها، ومع هذا نجد أنه قد جاءت سورة أخرى لتخبرنا عن حادثة تاريخية تطمئن المؤمنين

العاملين بتأييد الله ونصره للحــق، وتعطينا تطبيقًا عمليًا على تأييد الله تعالى، فكانت ســورة الفيل مؤكدة هذه الحقيقة بما أشارت إليه من حفظ لمواطن هذا الدين وقيمه المادية كما هي المعنوية، والقضاء علــى كل محاولات الصد عن الحق مهما كانت.

السورة	النصر	الفيل
قيمتها	عاقبة ثبات المؤمن واستقامة سلوكه هي النصر والتمكين	تطمين المؤمنين بتأييد الله لهم ودفاعه عنهم

قيم بناء الإنسان وإعداده كما تحققها موضوعات سور الجزء

لا بـــد من التأكيد هنا مرة أخرى على ما بدأنا الحديث عنه أول هذا الكتاب، حيث ذكرنا أنّ بناء الإنسان هو الشغل الشاغل للقرآن الكريم، وأنّ القرآن الكريم يهدف أساسًـــا إلى بناء الفرد وتكوينه ليكون قـــادرًا على أداء مهامه الفردية والاجتماعية في عمارة الكون وتحقيق حمل الأمانة، ورعاية شـــأن الأمة، ولعله ظهر لك مما ســـبق بيانه كيف أنّ سور الجزء قد تظافرت قيمها لتحقيق ذلك وتمكينه.

وبعد ما تم بيانه من قيم كل ســـورة من ســـور هذا الجزء، وما تم توضيحه وبيانه كذلك في شـــأن مقومات بناء الإنسان، فإنّ من المناسب هنا أن نبدأ ببيان القيم التي تتحقق بها صناعة الإنسان، ويتحقق بها بناؤه وتكوينه.

ومن المعلوم أنّ السور القرآنية تتشارك عمومًا في كثير من الموضوعات الفرعية والتفصيلية التـــي تتناولها، وكذلك كان

الأمر هنا في ســـور هذا الجزء، حيث نجد التركيز أكثر من مرة، في أكثر من سورة من السور على موضوعات متعددة متشابهة ومتقاربــة، ومما لا شــك فيه أنّ ذلك مؤشــر على أهمية هذه الموضوعات ومركزيتها في تحقيق أهداف القرآن ومقاصده.

والــذي يحتاجــه المتدبّر لكلام الله تعالــى في مثل هذه الحالة؛ أن يجمع بين عناصر هذه الموضوعات وربطها ببعضها لتتم عنده الصــورة الواضحة في بناء النظرة القرآنية الشــاملة، حيث من الضروري في هذه الحالة أن يكون التدبّر في مستوى الجمع بين آيــات الموضوع الواحد في كل الســور، ومن ثَم تنسيقها محاولة من المتدبّر لتكوين صورة الموضوع وعناصره.

إنّ ما أقصده تمامًا هنا من خلال جمع هذه الموضوعات والتنســيق بينها؛ هو تحديد تلك القيم التي تناولتها سور الجزء مجتمعــة من خلال ما ركزت عليه من الموضوعات القرآنية أو بعض هذه الموضوعات، وتشــكيلها وبناؤهــا لتحقيق الفكرة الكلية أو المقصد الجامع في بناء الإنسان وإعداده.

ويقوم الكشـف عن هذه القيم على البحث عن الصلات والارتباطات الموضوعية بين قضايا الجزء الأساسـية والرئيسة لتشكيل أطر جامعة لها وفق تكرارها وتركيز الجزء عليها لتحقيق أهدافه ومقاصده الكلية، وتجميعها وفق المقصد الكلي للجزء وسوره.

قد تجد عزيزي القارئ وأنت تقرأ للعلماء حديثًا لهم حول ما يسـمّونه بموضوعات القرآن الكريم، وهذا حديث مشـوّق يبنون فيه تلك الموضوعات بناءً منهجيًا محكمًا، ويفصّلون في تشـكيل عناصر تلك الموضوعات وقضاياها، لكن ما نقصده هنا يختلف قليلاً عن ذلك؛ أنّ ما نسـعى هنا لتحقيقه أن نوجد «الأطر الجامعة» التي نسـتند إليها في الكشـف عن هدايات موضوعات سور الجزء.

فإنّ غالب ما يدور عليـه حديث العلماء عن موضوعات القرآن يجتمع في موضوعات سبعة[1] هي:

(١) /انظر: الغزالي، المحاور الخمسة في القرآن الكريم، دار الشروق، ص٨، والكومي، أحمد السيد، ومحمد القاسم (١٩٨٢) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، (ط١)، ص٢٦-٣٢. والمـودودي، أبو الأعلى (١٩٧١) المصطلحات الأربعة في القـرآن، ط(٥)، دار القلم: الكويت.

١. التعريف بالله عز وجل من خلال أسمائه وصفاته وأفعاله، والتعريف بالقرآن باعتباره كلام الله.

٢. التعريف بالإنسان من ذات وصفات وطبائع وخصائص وتكوين، والتعريف بتصوراته ومواقفه.

٣. التعريف بالكون وبداية تكوينه وتسخيره ووظيفته ومآله.

٤. العبادات التي من شأنها تزكية نفس الإنسان.

٥. الأحكام والتشريعات الفقهية والعملية، والسنن الربانية (فقه العمل).

٦. القصص: وتشمل الحديث عن قصص الأنبياء، وقصص السابقين، ويضم إليها بعض العلماء سيرة النبي محمد ﷺ.

٧. الجزاء والآخرة: ويتمثل بالحديث عن البعث والجزاء، وذكر الجنة والنار، وما يتصل به شأن الغيب عمومًا من ذكر للملائكة والشياطين والجن.

وإذا كانت هذه هي الموضوعات التي ذكرها العلماء، وهي كما ترى محددة ومنضبطة، فإنّ الأطر الجامعة التي

نقصدها تظهر من خلال نسبة تركيز السور أو الجزء على تلك الموضوعات أولًا، ومن خلال شكل ذلك التركيز وحجمه ثانيًا، ومن خلال صلة هذه الموضوعات بالمقصد الكلي لسور الجزء ثالثًا.

فكأنّ هذه الأطر الجامعة هي نتاج تطبيقي لنسبة تركيز السور على الموضوعات وشكل تناولها.

وتحديد هذه الأطر هو الذي يكشف لنا عن الهدايات التفصيلية للموضوعات التي ركزت عليها السور مجتمعة.

وها هنا سؤال مهم قد يخطر ببالك وأنت تتابع معنا ما نقول، وهو سؤال حول كيفية تحديد هذه الأطر...

إننا نحتاج في تحديدنا لهذه الأطر إلى أن ننظر في الموضوعات التي دارت آيات سور الجزء على بيانها والتعريف بها، ونحتاج كذلك إلى أن نرتبها بحسب نسبة تركيز حديث الجزء عنها، وهذا يتطلب عملية إحصائية وتصنيفية مفصلة، نستطيع من خلالها تحديد ذلك وقياسه.

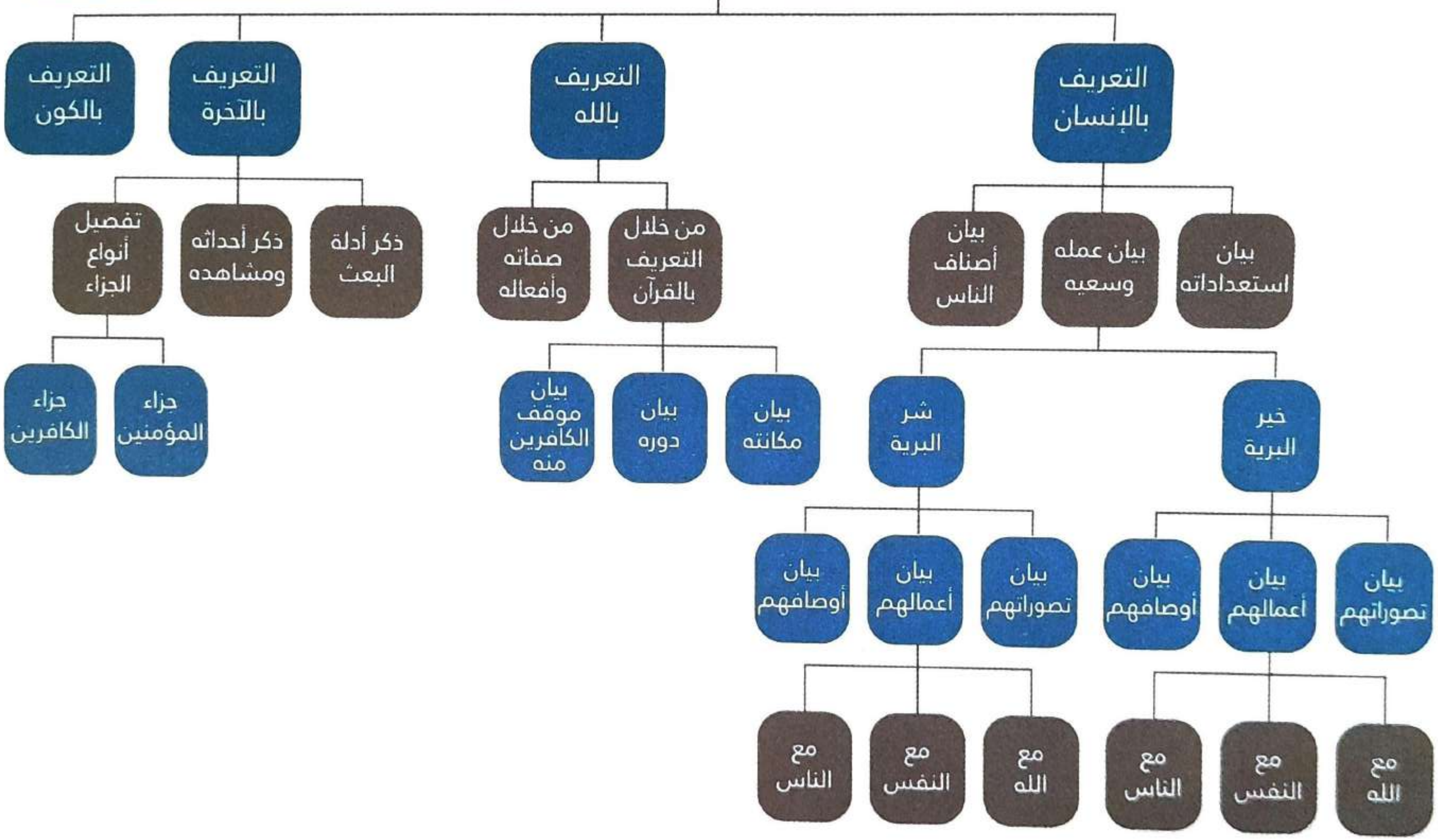
ومما سبق؛ تتجلى لنا بالبحث والنظر جملة من الحقائق، منها:

١. أنّ سور الجزء قد اشتملت على أصول الموضوعات القرآنية جميعها بنسب متفاوتة ومتقاربة ستلحظها عند القراءة والاطلاع.
٢. أنّ أكثر هذه الموضوعات ذكرًا هي: التعريف بالإنسان وأعماله، والتعريف بالله تعالى، والحديث عن الآخرة والجزاء، والتعريف بالكون.
٣. أنّ أقل الموضوعات ذكرًا في هذا الجزء هي: التشريعات، والعبادات الشعائرية، والقصص القرآني.
٤. أنّ ترتيب هذه الموضوعات من حيث اهتمام الجزء بها ونسبة ذكرها وتركيزه عليها، يظهر وفق الترتيب التنازلي الآتي: التعريف بالإنسان وتصوراته ومواقفه وأعماله، ثم التعريف بالله تعالى وصفاته وأفعاله، ثم الحديث عن الآخرة وأحداثها والجزاء فيها من جنة ونار، ثم التعريف بالكون وما فيه من مظاهر قدرة الله تعالى.

٥. أنّ الرابط بين هـذه الموضوعات في نسـبة تركيز الجزء عليهـا، يكشـف لنا عن قيـم كلية، تشـكّل المحددات الأساسـية لبناء الإنسـان وإعداده؛ فالإنسـان بحاجة أن يتعرف على ذاته وأعمالـه ومهامه التي تناط به في الحياة الدنيا، ثم هو بحاجة أن يتعرف على ربه الذي خلقه، وعلى صفات الله تعالى وتجليات قدرته، ثم هو بحاجة للتعرف على حقيقة مصيره وآخرته؛ فإنّ ذلك موجّه للعمل ومحفّز لإرادة الإنسـان، ثم هو بحاجة أن يتعرف على هذا الكون الذي اسـتخلفه الله فيه وأمره بعمارته، ليستدل من خلاله على عظمة الله، وليقوم فيه بدوره وواجبه.

وفي ضوء ما سبق بيانه، نستطيع تحديد أطر أربعة جامعة لموضوعات سور الجزء، تحدثت عنها السور بتفصيل واضح، وفق ما هو عليـه منهج القرآن الكريم فـي تكامل موضوعاته وبنائها؛ سوف أذكرها إجمالاً ثم أفصل في بيانها.

موضوعات جزء عم الرئيسة وأطرها الجامعة



أولاً

التعريف بالإنسان وتصوراته ومواقفه وأعماله

تجلّى حديث سور الجزء عن هذا الموضوع وما يتصل به في جوانب عدة، كشف كل جانب منه آيات عديدة، وأبرز هذه الجوانب يظهر في بيان اســتعدادات الإنسان التي هيّأه الله من خلالها، وفي بيان عمل الإنسان وسعيه، كذلك في بيان أحوال الإنسان عند انتهاء عمله والرجوع إلى الله، وآخرها بيان أصناف الناس بحسب تصوراتهم وأعمالهم؛ حيث أعطت سور الجزء تصوّرًا عامًا عن هذه القضية، فقدّمتها في صنفين: وصف الأول بـ«خير البريّة»، ووصف الثاني بـ«شر البريّة»، وتناولت الآيات القرآنية بيان أحوال هذين الصنفين من خلال بيان تصورات كل صنف، وأعمال كل واحد منهما، وأوصافهما.

ولعل أكثر سور جمعت هذه القضايا سور ثلاثة؛ هي سور الشــمس، والليل، والبيّنة.... وقد تحدثت سورة الشمس عن تســوية النفس الإنســانية بين الفجور والتقوى، وبيّنت سبيل فلاحها وسبيل خيبتها.

ثم كان حديث سـورة الليل عن انعكاس التسـوية الذي تحدثت عنه سورة الشـمس، فبيّنت اختلاف سعي الناس بين صورتين رئيسـتين؛ صورة من أعطى واتّقى وصدَّق بالحسنى، وصورة مَن بخل واستغنى وكذَّب بالحسنى، ووضّحت السورة الأثر المترتب على ذلك من تيسير لليسرى وجزاء الجنة، ومن تيسير للعسرى وجزاء النار.

ولا شك أنّ هذه الصور هي أبرز ما يكتنزه الخطاب القرآني في تحديد معالم طريق النفس الإنسانية، وليس عجيبًا أن نجد ذلك في تناسـبه التام مع موضوع كل سـورة واسمها -سورة «الشمس» وسورة «الليل»- وترتيب تتابعهما في القرآن الكريم.

والسـورة الثالثة المشـتركة مع سـابقتيها في جمع هذه القضايا هي سورة «البيّنة»، حيث وضّحت أنّ الأمر يحتاج إلى بيّنة وحجة ليبني الإنسـان تصوراته ومواقفه في حياته، وهو ما يؤكد ما مهّدت له السورتان السابقتان وأصلتا له، فزادت سورة البينة بيانًا لانقسـام الناس إلى صنفين هما «خير البريّة» و«شرّ البريّة».

وسوف تجد أنّ سـور الجزء وموضوعاتها، بل إنك تجد حديث القرآن كلّه غير منفك عن هذا التشـكيل الكلي الجامع لمقصود وجود الإنسان ودوره في بناء نفسه وضبط مسار حياته وفاعليته الإيمانية.

وهذا ملخص لما سبق...

ونفس وما سواها		صورة لحديث الجزء عن النفس
ألهمها تقواها... قد أفلح من زكاها	ألهمها فجورها... قد خاب من دساها	تقسيم سورة الشمس (تسوية النفس)
من أعطى واتقى وصدق بالحسنى	من بخل واستغنى وكذب بالحسنى	توزيع سورة الليل «إن سعيكم لشتى» تنوع سعي الإنسان في منطلقه وأثره
نيسره لليسرى	نيسره للعسرى	
خير البرية	شر البرية	سورة البينة «تأكيد أهمية البينة، وتصنيف الناس إلى صنفين»

قلت لك عزيزي من قبل: إنّ حديث سور الجزء عن التعريف بالإنسان يتجلى في جوانب عدة، وسوف أسردها لك هنا مع بعض الآيات الدالة عليها، لتتجلى الفائدة أكثر وأكثر، وإليك بيان ذلك:

١. بيان استعدادات الإنسان التي هيّأه الله من خلالها:

بينت آيات جزء عم كيف حبى الله -سبحانه- الإنسان بالإمكانات الأساسية اللازمة لتحقيق مهمته في الأرض، فخلقه أولاً في أحسن تقويم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ التين:٤، ثم جعله مستعدًا للتعلم، قابلاً له: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ العلق:٥، ثم جعله مفطورًا على حب الخير: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ العاديات:٨، وترك له حرية الاختيار؛ إذ مكّنه من الإرادة والحرية: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ النبأ:٣٩، وجعل عنده الاستعداد النفسي، والقابلية للخير والشر والصلاح والفساد: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ الشمس:٨، وفي كل ذلك تهيئة ربانية لهذا الإنسان كفيلة بقدرته على إتمام دوره في هذه الحياة.

٢. بيان عمل الإنسان وسعيه:

جعلت آيات سور الجزء العمل والسعي من أساسيات وجود الإنسان على الأرض، ومسيرة حياته عليها: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ الانشقاق:٦، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ البلد:٤، ووضحت لنا أنّ سعي الإنسان وأعماله مختلفة متفاوتة وليست واحدة: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ الليل:٤، كما بيّنت أنّ كل سعي للإنسان مراقب ومسجّل عليه، وسوف يتذكره يوم القيامة، ويراه عيانًا، ويعلم أثره ونتيجته:

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ﴾ النازعات:٣٥، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ الزلزلة:٦، ﴿... يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ النبأ:٤٠، ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ الانفطار:٥، ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ التكوير:١٤، كما أكّدت الآيات كذلك أنّ عمل كل نفس وسعيها سيجتمع معها يوم القيامة، فيكون الناس أصنافًا بحسب اقتران أعمالهم معهم: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ التكوير:٧.

٣. بيان أصناف الناس بحسب تصوراتهم وأعمالهم:

أعطت سور الجزء تصوّرًا عامًا عن هذه القضية، فقدّمتها في صنفين: صنف وُصف بخير البريّة، وصنف وُصف بشرّ البريّة، وفيما يأتي تفصيل لكل صنف في تصورات أصحابه وأعمالهم وأوصافهم:

الصنف الأول: خير البريّة:

وقد ورد التعريف به في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ البيّنة:٧، وتناولت الآيات القرآنية بيان أحوال هذا الصنف من خلال بيان تصوراتهم، وأعمالهم، وأوصافهم.

التصورات الإيمانية لخير البريّة:

وظهرت في جملة تصورات مميزة لهذا الصنف؛ منها تصديقه بآيات الله وحقائق الإيمان: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ الليل:٦، ومنها إيمانه الراسخ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ البروج:١١، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ

﴿هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ البيّنة:٧، ومنهــا كذلك وضوح عقيدته وثباته عليها ومفاصلته لغيرها: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ الكافرون:٤.

أعمال خير البريّة:

أما أعمال خير البريّة فتقسم إلى مستويات ثلاثة؛ مستوى الأعمـــال مع الله ســبحانه، ومســتوى الأعمال مــع النفس، ومستوى الأعمال مع الناس، وفيما يأتي بيان تفصيلاتها:

١. أعمال خير البريّة المتصلة بالعلاقة مع الله:

لقــد أَثْرَتْ آيات الجزء هذا الجانب من أعمال الإنســان، وأكثرت في تفصيله؛ ذلك أنّ عبادة الله هي أســاس الوجود: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ البيّنة:٥، ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ قريش:٣، والإخلاص في الدين والاستقامة أساس هذه العبادة: ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ البينة:٥، ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ الليل:٢٠.

وبيّنت الآيات ألوانًا متعددة لهذه العبادة الواجبة؛ منها ما هو عبادات قلبية كالتقوى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ الليل:٥، وخشية الله: ﴿...ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ البيّنة:٨، ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ النازعات:١٩، ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ عبس:٩، ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ الأعلى:١٠، والخوف منه سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ النازعات:٤٠، والرغبة إليه والتوجّه له: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ الشرح:٨.

ومنها ما هو عبادات عملية؛ كالصلاة: ﴿...وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ ...﴾ البينة:٥، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ الأعلى:١٥، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ الكوثر:٢، وأخصّ منها السجود والاقتراب: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ العلق: ١٩، وذكر الله: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ الأعلى: ١٥، والتسبيح والاستغفار: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ النصر: ٣، وتلاوة القرآن: ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ البينة: ٢، وتوجيه هذه التلاوة والقراءة لتكون دالة على الله متعلقة به: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق: ١ ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ العلق: ٣.

وجاء في الآيات التنبيه على وجوب النظر في آيات الله، وقدرة الله في الخلق، ونعم الله، والتفكر فيها؛ إذ إن ذلك هو الباعث للعمل، والدافع للعبادة: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ الطارق: ٥ ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ الغاشية: ١٧ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ عبس: ٢٤ ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ الفجر: ١٥، ثم دعت إلى التذكر، المعين على العبادة، والمؤدي للانتفاع بها كذلك: ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ عبس: ٤ ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ عبس: ١٢ ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ الأعلى: ١٠.

٢. أعمال خير البريّة المتصلة بالعلاقة مع النفس:

وفي هذا الجانب جاءت الآيات مرشدة الإنسان إلى تزكية نفسه: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ النازعات: ١٨، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ عبس: ٣، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ الشمس: ٩، ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ الليل: ١٨، وإلى إقامتها على الهدى: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ العلق: ١١، ودعت إلى استقامة حاله بزكاة

نفســه على ذلــك: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ التكوير:٢٨، وأمرت بالابتعاد عمّا شأنه قطع هذه التزكية، فحضت على منع هوى النفــس: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ النازعات:٤٠.

٣. أعمال خير البريّة المتصلة بالعلاقة مع الناس:

وقد أرشــدت آيات الجزء وســوره إلى ألوان مختلفة من السلوكات مع الناس، ذلك أنّ أثر تزكية النفس وحسن العلاقة مع اللــه ينبغي أن تنعكــس على علاقة الإنســان بمن حوله، وتجلت هذه الإرشــادات في تذكير النــاس والتواصي بالحق والصبر والمرحمة في معاملتهم: ﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾ النازعــات:١٩، ﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ الأعلــى:٩، ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾ الغاشــية:٢١، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ العصــر:٣، ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ البلد:١٧.

وتجلت هذه الإرشـــادات أيضًا في إنـــذار الناس وأمرهم بالتقـــوى: ﴿أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ﴾ العلـق:١٢، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ النازعات:٤٥.

وتجلت كذلك في الدعوة إلى التنافس معهم في الخيرات: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ المطففين:٢٦.

كما ظهرت أيضًا بالدعوة إلى الإحسان إليهم في أكثر من جانـــب، ذلك كما في الدعوة إلى العطـــاء والتصدّق والإنفاق ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ الليـــل:٥، ﴿...وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ...﴾ البينة:٥، ﴿ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ الليـــل:١٨، وفي العناية باليتيم ورعاية أحوالـــه ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ الضحـــى:٩، وفـــي احترام الســـائل ورعايته ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ الضحى:١٠، وفي الإطعام ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾ البلد:١٤.

إنك تجد فـــي آيات الجـــزء -إضافة إلى مـــا حددناه من الأعمال المتصلة بالعلاقة مع الله ومع النفس ومع الناس- إنك تجد آيات كثيرة تحث على العمل الصالح بإطلاقه، مبيّنة لأجره وثمرتـــه: ﴿...وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ...﴾ البينـــة:٧، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾ الانشقاق:٢٥، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ البروج:١١، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ التين:٦، وبيّنت مآل عمل الخير وثمرته وإن كان قليلاً لا يؤبه له، لكنه في ميزان الله عظيم: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ الزلزلة:٧.

ومن جانب آخر تجد بعض الآيات التي اهتمت بقيمة العمل ودعت الإنسان إلى المداومة عليه بلا انقطاع: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾ الشرح:٧، واقتحام الصعاب وتحملها في سبيل ذلك: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾ البلد:١١، فهو سبيل الرفعة والدرجات العليا.

أوصاف خير البريّة:

وقد نسجت آيات الجزء لصفات خير البرية ديباجة متكاملة متناسقة، فوصفتهم ابتداءً بأعظم وصف وأشرفه؛ فهُم عباد الله: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ الفجر:٢٩، وهُم أهل التقوى:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ النبأ:٣١-٣٢، وهُم معدن البر: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ الانفطار:١٣، ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ المطففين:١٨، ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ المطففين:٢٢.

كما أنهم كذلك راضون عن ربهم، وهو راضٍ عنهم: ﴿...رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ...﴾ البينة:٨، ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ الليل:٢١، ولذا فهو ييسرهم لليسرى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ الأعلى:٨، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ الليل:٧، ويطمئن نفوسهم: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الفجر:٢٧، ويجعلهم المقربين: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ المطففين:٢٨.

هكذا تُقدّم لنا آيات الجزء وسوره صورة واضحة عن صنف «خير البريّة» داعية لنا أن نكون منهم، لتحذرنا بعد ذلك من أن نكون من «شـرّ البرية» فتصوّر لنا كذلك تصوراتهم وأعمالهم وأوصافهم.

الصنف الثاني: هُم شر البريّة

وقد ورد التعريف به في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ البينة:٦، وظهرت أحوال هذا الصنف من خلال بيان تصوراتهم، وأعمالهم، وأوصافهم، وسوف نجلي ذلك ونبينه إجمالاً خشية الإملال والإطالة.

التصورات الاعتقادية عند شرّ البريّة:

فهم في تصوراتهم في أشنع حال، وأبأس توصيف؛ إذ هم ابتداءً يكذّبون بالوحي الذي جاء لهدايتهم: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ النازعات:٢١، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾، المطففين:١٠-١٢، ويُولّد تكذيبهم هذا الكفر والإنكار: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الانشقاق:٢٠، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ عبس:٤٢، ثم هم يهربون من الحق ويتولون عنه: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ الغاشية:٢٣، ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ الليل:١٦، ﴿أَرَءَيْتَ

إن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ العلق: ١٣، وأساس هذه التصورات هو إنكارهم حقيقة الحساب واليوم الآخر: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابًا﴾ النبأ:٢٧.

أعمال شرّ البريّة:

وتقسم إلى أعمال تجاه الله، وأعمال تخص النفس، وأعمال تتعلق بالناس:

١. أعمال شرّ البريّة المتصلة بالعلاقة مع الله:

تبين لنا الآيات الكريمة في سور هذا الجزء بعض أعمال «شرّ البريّة» الذين فسدت تصوراتهم، وتصف أعمالهم ابتداءً بالعصيان: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ النازعات:٢١، وكذلك بالإدبار عن الحق: ﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ﴾ النازعات:٢٢، وبالإجرام: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾ المطففين:٢٩، وكذلك بالطغيان والظلم: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ النازعات:١٧، ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ النازعات:٣٧، ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ الفجر:١١،

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾ الشمس:١١، ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾ العلق:٦.

وفصلت الآيات أكثر، مبينة رفضهم لأوامر الله سبحانه، والامتناع عن تنفيذها: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ عبس:٢٣، بل وتنكبها ومخالفتها: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا﴾ الشمس:١٤، كل ذلك إشارة إلى أنّ أعمالهم «شرّ» كحالهم: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ الزلزلة:٨.

وذكرت الآيات نماذج متعددة من هذه الشرور والذنوب التي يقترفونها؛ منها استكبارهم، ورفض السجود والخضوع لله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ﴾ الانشقاق:٢١، ومنها العناد ورفض التوبة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾ البروج:١٠، ومنها الغفلة وعدم الاستجابة للتذكير: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى﴾ الأعلى:١١، ثم هُم عن صلاتهم ساهون غافلون: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ الماعون:٥.

بل هُـم فوق ذلك جاحـدون بنعم الله علـى الرغم من شهادتهم لها ومعرفتهم بها: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ العاديات:٦-٧، ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾ الفجر:١٦، وإن أحبط ما يحبط أعمالهم الرياء وطلب السمعة: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ الماعون:٦، فلا إخلاص في أعمالهم.

٢. أعمال شرّ البريّة المتصلة بالعلاقة مع النفس:

ذكرت الآيات لصنف شرّ البريّة مجموعة من القبائح التي يرتكبونها بحق أنفسهم، وهي تُشكّل سلسلة متطاولة تبتدئ باستغنائهم عن التذكّر والتزكية: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ عبس:٥، وتنتهي بتدسية أنفسهم وخيبتها: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ الشمس:١٠، وما بين هذين الطرفين تأتي أعمالهم تباعًا لتسلمهم من سوءٍ إلى سوء، ومن قبحٍ إلى قبح...

فإن استغنوا عن الذكرى فلأجل ما هم فيه من إيثار الدنيا: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ الأعلى:١٦، ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ

﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ النازعات:٣٨، حتى تصل بهم الحال إلى التسابق عليها والتلهي بها عما سواها من الحقيقة: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ التكاثر:١، بل ينغمسون في ملذاتها وطغيانها: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ الليل:٨، ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ العلق:٧، ﴿وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا﴾ الفجر:١٩، ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾ الفجر:٢٠، ﴿ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ﴾ الهمزة:٢، ﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ﴾ الهمزة:٣، ﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا﴾ البلد:٦.

والنتيجة أنّ أعمالهم هذه تحيط بقلوبهم، وتغطي عليها، وتمنعها من التقوى والإحسان: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ المطففين:١٤، وتسلمهم إلى خبث النفس وفجورها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾ عبس:٤٢، ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ الانفطار:١٤، ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ﴾ المطففين:٧، ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا﴾ الشمس:٨.

٣. أعمال شرّ البريّة المتصلة بالعلاقة مع الناس:

سطّرت آيات الجزء في رأس قائمة أعمال صنف شرّ

البريّة تجاه الناس فسادهم المطلق، فوصفتهم بقوله تعالى: ﴿فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾ الفجر:١٢، ولك أن تتصوّر أشكالاً متنوعةً متعددةً من أعمال الفساد هذه، فهُم يبخسون الناس أشياءهم، ويُطففون المكيال والميزان: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ المطففين:١-٣.

وهُم يمنعون الخير بكل أنواعه وأشكاله، ويتسبّبون بالأذيّة لكل ضعيف: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ الماعون:٧، ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ الفجر:١٧، ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ الماعون:٢، وهُم يُضيعون حقوق المساكين: ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ الفجر:١٨، ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ الماعون:٣.

كما أنهم يتصدّرون لأخسّ الأعمال وأقبحها، بالصدّ عن منهج الله والكيد لأصحابه: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ الطارق:١٥، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ البروج:١٠،

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾ العلق:٩-١٠، بل ويجمعون الناس حولهم في محاربة الحق: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ النازعات:٢٣.

وهُم لا يتركون سبيلاً للشر إلا سلكوه، فيوسوسون بالشر: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ الناس:٤-٦، وينفثون عُقدهم في وجه الخير: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ الفلق:٤، ويحسدون الناس على ما عندهم: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ الفلق:٥.

وفوق ذلك كله تجدهم يستهزئون بأهل الإيمان: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾ المطففين:٢٩، ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ المطففين:٣٠، ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الهمزة:١، وكلها أجزاء في تركيبة من التفكّه والتندّر بأهل الإيمان: ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ﴾ المطففين:٣١، على الرغم من أنهم يعلمون قبح أفعالهم، ويشهدون بسوء صنيعهم: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ البروج:٧.

أوصاف شرّ البريّة:

جاءت أوصاف شـرّ البريّة متناسـبة متناسقة مع ما قدّمته الآيات من بيان لتصوراتهم واعتقاداتهم ولأعمالهم وسلوكهم، حيث يشـملهم قولـه تعالـى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ الفلق:٢، ووُصفـوا أيضًـا بأنهم مُعتـدون آثمـون: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ﴾ المطففين:١٢، ووُصموا بالتكذيب: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ المطففيـن:١٠، ثـم دمغهم بدمغة الكفـر والفجور والطغيـان: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾ عبـس:٤٢، ﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا﴾ النبأ:٢٢.

وهُم كذلك أشقى الخلق: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى﴾ الأعلى:١١، ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾ الشـمس:١٢، ﴿لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى﴾ الليل:١٥، وأسفلهم: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ التين:٥، واستحقوا أن يكونوا من أهل الشر والعسر: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ الليل:١٠.

ثانياً

التعريف بالله تعالى من خلال صفاته وأفعاله

حرص القرآن الكريم في حديثه على تجلية الحقيقة الكبرى المتعلقة بهذا الوجود، وهي حقيقة الخالق سبحانه، فقدّمت للعقل البشري ما يستطيع تصوّره من هذه الحقيقة المطلقة، ولذلك فقد أولى القرآن اهتمامًا بالغًا في التعريف بالله تعالى.

وقد قدّمت سور الجزء حديثًا واضحًا عن الله سبحانه وتعالى من خلال صفاته وأفعاله، وكذلك ورد فيها حديث محدد منضبط عن القرآن الكريم، وقد ارتأيت أن أضمّ حديث الجزء عن القرآن الكريم إلى حديثه عن الله؛ فإنّ القرآن كلام الله تعالى، وكلامه صفة من صفاته سبحانه.

وإليك التفصيل...

تعريف سور الجزء بالله من خلال صفاته وأفعاله:

أبرز الجزء حديثه عن الله تعالى بذكر بعض صفاته، وهي دالة عليه سبحانه؛ فكانت هذه ا لسور تقدمها لنا مرة من خلال التعريف بصفاته الخاصة سبحانه، فهو واحد أحد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإخلاص:١، وهو الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ الإخلاص:٣، ولا شبيه له ولا مثيل: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الإخلاص:٤، وهو الخالق سبحانه: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا﴾ النازعات:٢٧، ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ النبأ:٨، وهو المجيد: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ البروج:١٥، الأعلى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ الأعلى:١، ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الليل:٢٠، وهو العزيز الحميد: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ البروج:٨، وهو الحكيم: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ التين:٨، وهو الخبير: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ العاديات:١١، وهو العليم بكل شيء: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ الانشقاق:٢٣، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ الأعلى:٧. وغيرها الكثير مما تستطيع الوقوف عليه وأنت تقرأ سور هذا الجزء وتتدبّر آياته.

كمـــا قدّمت لنا ســـور الجزء كذلـــك بيانًا لصفـــات الله وربطها بأفعاله وقدرته عز وجل؛ فهو ســـبحانه وحده صاحب الملـــك: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ البروج:٩، وهو ســـبحانه ربّ كل الناس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ النـاس:١، وهو صاحب العرش: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ التكويـر:٢٠، ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ البـروج:١٥، وأنّ لـــه الأمـــر: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ الانفطـار:١٩، وأنه فعّال لما يريد: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ البـروج:١٦، وأنه يرى كل الأمور فـــلا يغيب عنه منها شـــيء: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ العلق:١٤، وهو شهيدٌ على كل شيء: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ البروج:٩، وهو القادر عز وجل، فلا شيء يفوت قدرته: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ الطـارق:٨، وهو المدبّر للكون بكل ما فيه، وتجلّى ذلك من خلال عشـــرات الآيات التي بيّنت أجزاء متنوعـــة من المخلوقات، منها على ســـبيل المثال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ النبـأ:٦-٧، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ النبـأ:١٠، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ النبـأ:١١، إلى آخر

مـا يزخر به هذا الجـزء من آيات تُعرّفنا باللــه تعالى وتُبيّن لنا تجليات قدرته وعلمه ورحمته سبحانه.

التعريف بالقرآن:

حديــث القرآن عــن القرآن حديثٌ عجيــب، ذو دلالات عظيمة ولطائف بديعة، ولا شـــيء كالقرآن يُعرّفك بالقرآن، فهو يخبرك بنفسه عن نفسه، فسبحان من جعله ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ الزمر:٢٨.

وحق القرآن أن يفرد بالحديث، لكننا آثرنا الحديث عنه في هــذا الموضع لصلته بالتعريف بالله تعالى؛ فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى، وكلام الله صفة من صفاته سبحانه، ومن بديع سور هذا الجزء أنها حدّثتنا عن القرآن فبيّنت لنا مكانته، وجلّت لنا دوره، كما بصّرتنا بموقف الكافرين من وحي الله عمومًا.

ومكانة القرآن تظهر ابتداء بما بيّنته لنا سورة القدر؛ فهو أُنزل في ليلة مباركة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ القدر:١، كما تظهر فــي منزلته التي جعلها الله لــه، فهو: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾

﴿مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦﴾ عبس:١٣-١٦، ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ﴾ البينة:٢، وهو يحمل قيمًا عظيمة في ثنايا آياته وسوره: ﴿فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ﴾ البينة:٣، وهو كتابٌ مجيد: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ﴾ البروج:٢١، محفوظ من الضياع والزلل: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ الأعلى:٦.

ويبرز دور القرآن كذلك في بيان الغاية من إنزاله؛ فهو جاء تذكرةً للناس: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ﴾ عبس:١١، وداعيًا لهم إلى الاستقامة والالتزام بتعاليمه: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾ التكوير:٢٧-٢٨، وهو القول الذي ينبني عليه الفصل بين إيمان الناس وكفرهم، بين الحق والباطل، بين الجد والهزل: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤﴾ الطارق:١٣-١٤.

ثم تُبيّن لنا سور الجزء في جلاء ووضوح موقف أولئك الذين لم يعرفوا للقرآن منزلته ومكانته، ولا دوره ومهمته، فهم كافرون بآيات الله مكذّبون لها: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ البلد:١٩، بل ويصرُّون على تكذيبهم:

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا﴾ النبأ:٢٨، وهم يتهمونه ويشككون في صدقه: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ المطففين:١٣، فكان أثر ذلك عليهم أنهم نبذوه وراء ظهورهم ولم يستجيبوا لأوامره: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ الانشقاق:٢١، والله المستعان.

ثالثاً

التعريف بالآخرة وأحداثها والجزاء فيها من جنة ونار

يأخذ الحديث عن الآخرة بكل ما يتصل بها مساحة واضحة في حديث القرآن الكريم، ويجد المتأمل آيات القرآن الكريم ظاهرة ملفتة في الحديث عن أركان الإيمان عمومًا، حيث نجد اقترانًا شبه دائم بين ركنين أساسيين: الإيمان بالله تعالى، والإيمان باليوم الآخر، ذلك أنّ الميزان المحرك لقيمة الإيمان بالله تعالى هو الإيمان باليوم الآخر، فهو يشكل الدافع

لأعمال الإنسان، والضابط لسلوكه، والمهذّب لنفسه.

وقد ركّزت سور الجزء بشكل ملحوظ حديثها عن الآخرة، حتى إنه قد كثر عند الدارسين القول بأنّ غالب موضوعات الجزء هو اليوم الآخر.

إلا أنّ المدقق والمتأمل يجد أنّ اهتمام الجزء بهذا الموضوع من حيث حجم الآيات وتفصيلها يأتي في المستوى الثالث بعد الحديث عن الإنسان وأعماله، وبعد الحديث عن الله تعالى.

كما أنه قد ظهر من خلال الدراسات السابقة التي كشفنا بها موضوعات سور الجزء وقيمها أنّ السور التي يمكن عدّ مقصدها الأساس الحديث عن اليوم الآخر محدودة جدًا، لكن هذا لم يقلل من حجم المستوى التفصيلي الذي تناولت به سور الجزء الحديث عن اليوم الآخر كموضوع من الموضوعات الرئيسة، وقد ظهر هذا الحديث في جوانب أربعة:

١. ذكر أدلة البعث وصدق وقوع اليوم الآخر.

٢. ذكر بعض أحداث اليوم الآخر ومشاهده.

٣. بيان بعض أحوال الإنسان عند انتهاء حياته وعمله والرجوع إلى الله.

٤. التفصيل في أنواع جزاء المؤمنين والكافرين.

وإليك تفصيل ذلك:

الجانب الأول:

أدلة إثبات البعث وصدق وقوع اليوم الآخر:

والقصد من ذكر هذه الآيات تأكيد حقيقة البعث ووقوع اليوم الآخر، وهي أدلة متنوعة قائمة على البرهان العقلي والاستدلال المنطقي، وعلى الشواهد الكونية والمشاهدات الواقعية اليومية، والقائمة كذلك على أدلة الحكمة والقوة والعدل...

وقد اتجهت آيات جزء عمّ في إثباتها للبعث وصدق وقوع اليوم الآخر اتجاهات متعددة؛ فمن الآيات والسور فيه ما جاء يثبت هذه الحقيقة باعتبارها من حقائق الوجود الأساسية كما

قرّرهـا القرآن الكريم بكل صراحـة ووضوح: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ العلق:٨.

ومنها الآيات الداعية إلى النظر والتأمل في الخلق: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾..﴾ عبس:٢٤-٣٤.

ومنها كذلك الداعية إلى إثبات الوجود الإنسـاني وتمهيد الأرض لـه من حيث هو سـبيل لوجود غاية كبـرى وراء هذا الوجـود وهـذا التمهيـد: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾

النبأ:٦-١٨.

ومنها الآيات الداعية إلى إثبات البعث من خلال بيان بناء الكون وهدف تعميره وخلقه: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ النازعات:٢٧-٣٦.

ومنها كذلك الداعية إلى استعراض حياة الإنسان ومراحل نموه لبيان الغاية وراءها: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾ الطارق:٥-٩.

كل هذه المنهجية كان من شأنها تحريك العقل الإنساني لتوجيهه للإيمان بهذه الحقيقة من خلال الحجة والإقناع، ليكون لذلك أثره الفاعل على بناء أفكاره وتقويم سلوكه وأعماله.

الجانب الثاني:

ذكر بعض أوصاف اليوم الآخر وأحداثه ومشاهده:

أكثرت آيات الجزء في ذكر أوصاف اليوم الآخر، وأسمائه، وأحداثه، ومشاهده، وتنوعت منهجيتها بتناول ذلك؛ فتارة كانت تصفه بصفات التعظيم؛ فهو نبأ عظيم: ﴿ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾، ويوم عظيم: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، ويوم موعود متحقق الوعد حتمًا: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ البروج:٢، وهو بدقّته موقوت كالساعة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ النازعات:٤٢، وهو حق مطلق لا يجادل فيه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ النبأ:٣٩، وفيه يتم الفصل بين الناس بحسب تصوراتهم ومواقفهم: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا﴾ النبأ:١٧، وهو يوم الإيمان الحقيقي، ويوم التصديق بحقيقة الدين: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ الانفطار:١٥، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ الانفطار:١٧-١٨، ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ المطففين:١١.

وتارة أخرى جاءت الآيات لتصف اليوم الآخر بصفات

واضحة في كلمة واحدة تبعث القشعريرة، وهي تقدم لنا حقيقة ما يجري في ذلك اليــوم في كلمة واحدة معبرة، فهو الراجفة: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾، والرادفــة: تَتْبَعُهَــا الرَّادِفَةُ ﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾، والغاشية: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾، والصاخّة: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾، والقارعة: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣﴾ وهي الطامة الكبرى كذلك: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾.

وتــارة ثالثة تذكر آيات الجزء أحداثًــا معينة مهولة تقع في ذلك اليوم؛ منها دك الأرض:

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا﴾، وزلزلتهــا: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾، وظهور أســرار الناس وأخبارهم فيها: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾.

ثم جاء وصف ذلك اليوم بما ينبغي على الناس أن يعملوا وأن يقدّموا اســتعدادًا له؛ لأنه اليوم الذي يفضي بنا إلى الحياة الآخرة الباقية: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾.

الجانب الثالث:

بيان بعض أحوال الإنسان عند انتهاء حياته وعمله والرجوع إلى الله:

كذلك فإن آيات هذا الجزء توضح لنا أحوال الناس في ذلك اليوم، فتذكر لنا انبعاثهم المضطرب المرتبك: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ القارعة:٤، كما تحدثنا عن خروجهم إلى الحساب جماعات مصنفين بحسب أعمالهم: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ النبأ:١٨، كذلك فهي تخبرنا عن استعدادهم للحساب: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ الغاشية:٢٦، وهي تبين لنا أيضًا قيامهم لرب العالمين: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ المطففين:٦، حيث لا مالك إلا الله، ولا حاكم إلا الله.

الجانب الرابع:

التفصيل في أنواع جزاء المؤمنين والكافرين:

يستطيع المتأمل آيات القرآن الكريم الوقوف على تفصيل الجزاء الذي أعده الله تعالى للناس بحسب إيمانهم أو كفرهم، وبحسب أعمالهم الصالحة أو الفاسدة.

وسور الجزء الثلاثين أخذت نصيبًا وافرًا من هذا التفصيل، حيث يمثل ذلك جزءًا من الحقائق الغيبية التي يطلعنا عليها القرآن، والتي تشكل ركنًا من أركان الإيمان.

ويشكل هذا الحديث التفصيلي دافعًا ومحركًا للطاقات الإيمانية، يحفز صاحبها على العمل والاستعداد طلبًا للنعيم، وتجنبًا للعذاب.

جزاء المومنين:

وقد بينت الآيات ألوانًا متعددة لجزاء المؤمنين، والذين هم خير البرية كما سبق بيانه، وهنا جاء وصفهم عند الجزاء

بأنهم أصحاب الميمنة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ البلد:١٨، وقد كتب الله لهم الجنة بما سبقوا إليه من عمل: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ البيّنة:٨، وباعدهم عن النار: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى﴾ الليل:١٧، وكتب لهم أجرًا غير منقطع: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾ الانشقاق:٢٥، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ التين:٦.

ثم إنّ حياتهم طيبة رغدة، فنفوسهم مطمئنة: ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾ الفجر:٢٨، وهُم راضون عن سعيهم الذي قدّموه: ﴿لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ﴾ الغاشية:٩، ومسرورون به: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا﴾ الانشقاق:٩، لما يرون من نتيجة الخير الذي فعلوه: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ الزلزلة:٧.

وما أجمل حسابهم؛ فهو يسير سهل: ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ الانشقاق:٨، إذ كتاب أعمالهم في تكريم وعلو

وسمو: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ المطففين:١٨، يأخذونه بأيمانهم دلالة اليمن والبركة والخير: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ الانشقاق:٧.

وما يحصلونه في ذلك اليوم هو الفوز الحقيقي: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبًا ﴿٣٢﴾﴾ النبأ:٣١-٣٢، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ البروج:١١، هناك حيث الثقل للموازين بالطاعات والأعمال الصالحات: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ القارعة:٦، وتأتيهم الفضيلة الكبرى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ البيّنة:٨.

وقد فصّلت الآيات في ألوان متعددة من النعيم الذي أُعدّ لهم، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا﴾ النبأ:٣٥، ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ المطففين:٢٨، ﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ المطففين:٢٦، ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبًا ﴿٣٢﴾﴾ النبأ:٣١-٣٢، ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾ المطففين:٣٤.

جزاء الكافرين

هو تفصيل لجزاء أولئك الذين وصفتهم آيات هذا الجزء بأنهم «شرّ البريّة»، وهؤلاء هُم ذاتهم أصحاب المشأمة: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ البلد:١٩، فجزاؤهم العذاب الأليم: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ﴾ المطففين:١٦، ﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾ الانشقاق:١٢، ﴿تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ الغاشية: ٤، كل ذلك تحقيق للعدل الإلهي: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ الزلزلة:٨، فهُم بذلك يُجازَون بما قدّموا: ﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ المطففين:٣٦.

فموازينهم مختلة قد خفّت من الطاعات والصالحات: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ القارعة:٨، فأعاذنا الله من حالهم وسوء عاقبتهم: ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ۝٤٠ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١﴾ عبس:٤٠-٤١، ووجوههم خاشعة من الذل: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ الغاشية:٢، لا يجدون نداءً يتنادون به إلا الدعاء بالويل والهلاك: ﴿فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا﴾ الانشقاق:١١، قد حُجبوا عن ربهم: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ المطففين:١٥.

وها هُــم يتناولون كتبهم من وراء ظهورهم: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ الانشقاق:١٠، ليجدوا أنهم في أسفل المنازل: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ المطففيـن:٧، حيـث يُعانون ألوانًا مختلفة متنوعة من الجحيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ البـروج:١٠، ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ الغاشـية:٥، ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾ الغاشـية:٦- ٧، ولا يُزادون إلا عذابًا: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ النبأ:٣٠.

رابعاً

التعريف بالكون وبعض ما فيه من الظواهر

تحدثت آيات سور الجزء عن مظاهر كونية متعددة، وسردت مشاهد للسـموات والأرض وما فيها بشيء من التفصيل، كما جاء فيها العديد من الإشارات العلمية التفصيلية، والمتدبّر لما

ورد يرى أنه قد جاء ذلك في سياقين اثنين:

يظهر الأول منهما في جانب امتنان الله تعالى على خلقه بعطاءاته لهم، ويظهر الثاني في بيان بعض مظاهر قدرته وملكه سبحانه.

وقد جاء حديث آيات الجزء عن مظاهر الكون في جانبي السماء والأرض:

فتحدثت آيات كثيرة عن السماء وخلقها: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ النبأ:١٢، ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا﴾ النازعات:٢٧، ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ النازعات:٢٨، ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ النازعات:٢٩، وما فيها من شمس وقمر: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ النبأ:١٣، ومن ليل: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ النبأ:١٠، ونهار: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ النبأ:١١.

وأما في جانب الأرض فقد جاء الحديث عن بسطها وتمهيدها للحياة: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ النازعات:٣٠، ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ النبأ:٦، ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾ عبس:٢٦،

وما هيّأه اللهُ فيها من جبـال: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ النازعات:٣٢، ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ النبـأ:٧، ومـا بثه فيها من مـاء: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ النبـأ:١٤، ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ عبـس:٢٥، وما نتج عنـه من حياة ونبـات: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾ النبأ:١٥-١٦، ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ الأعلـى:٥، ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ عبس:٢٧-٣١، ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ النازعات:٣١، ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ الأعلى:٤.

إنّ كثيـرًا من التفصيلات التي ذكرتهـا آيات القرآن عمومًا، وآيات سـور هذا الجزء تحديدًا، لتحرك العقل الإنساني ليتعرف على خالقه، وليلتزم منهجه، وهي كذلك تحفزه ليكتشف نواميس الكون وقوانينه الناظمة له، لتكون طريقه لتحقيق أمر الله تعالى بتسخير هذا الكون لحياة الإنسان، وتوظيفه لطاعة الله تعالى.

وما أجمل أن يستصحب قارئ القرآن ومتدبّره هذه المعاني جميعهـا، وهو يكرر هـذه الآيات على مسـامعه، أو... وهو يسمعها تتكرر فينشط قلبه وتنشط همّته لها.

الفهرس

هذا الكتاب ليس للقراءة فحسب ...

هذا الكتاب للنظر فيه نظر الباحث عن ذاتك، لتعرف مَن أنت؟! ولتعرف ماذا تحتاج لتصنع نفسك؟!

هذا الكتاب لتُجيب على نفسك بنفسك؛ كيف أستطيع أن أكوّن نفسي وفق منهج القرآن الكريم...

هو كتاب قد يكون عميقًا في منهج الربط والاستدلال، فلا تتعجل في بلوغ آخره، فإنك -عزيزي القارئ- ستجده يُعبّر عمّا في نفسك وذاتك، وأنه يكشف لك حقائق هي حاضرة عندك، لكنك كنت تحتاج مَن يضعها أمام عينيك...

وسأترك للكتاب أن يشرح لك نفسه، ويوضح لك مقصوده...

من منشورات

جمعية المحافظة على القرآن الكريم
المملكة الأردنية الهاشمية

هاتف: 4628333 6 962+ فاكس: 4628336 6 962+
ص.ب: 925894 - الرمز البريدي: 11190
حسابنا لدى البنك الإسلامي الأردني / فرع الحسين (17671)
عمان - الأردن
www.hoffaz.org
E-mail: hoffaz@hoffaz.org

ISBN: 978 9923 21 043 7
9 789923 210437